سل السيوف والأسنة

على

أهل الهوى وأدعياء السنة

تأليف

عبد الله بن صلفيق الظفيري

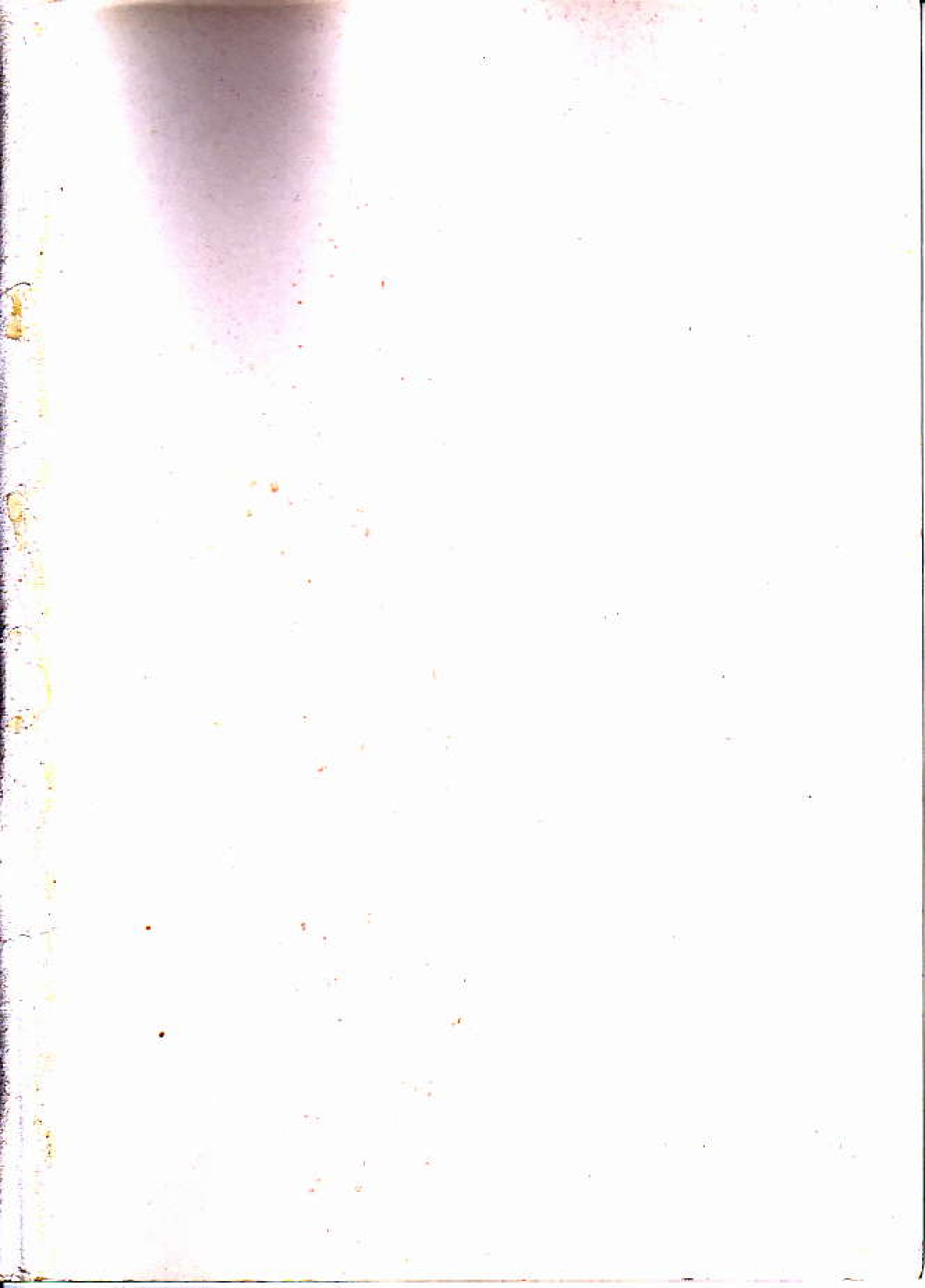
تقديم

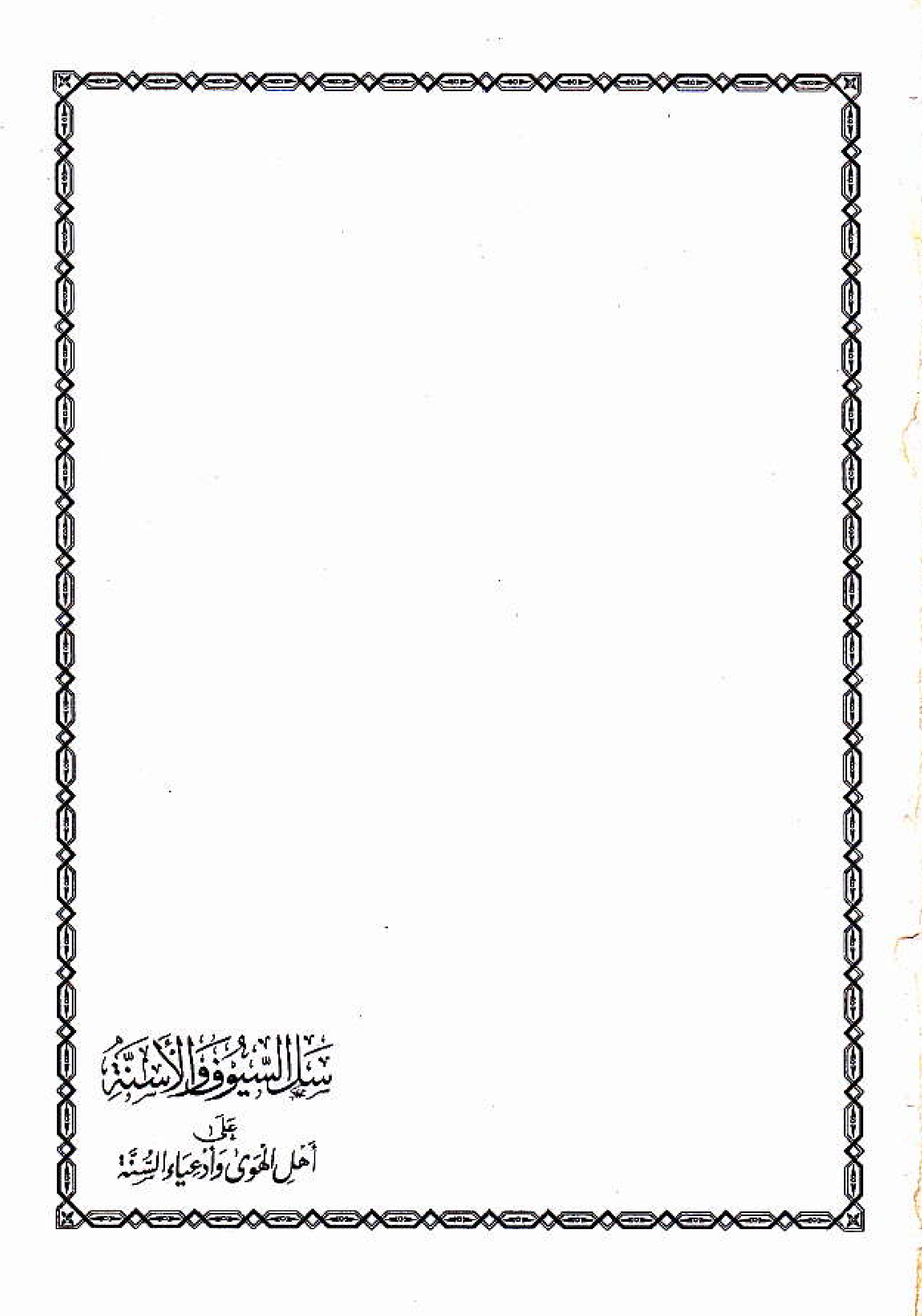
فضيلة الشيخ

د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

«رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً»





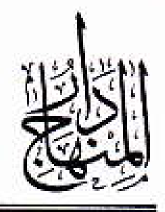

سل السيوف والأسنة
على
أهل الهوى وأدعياء السنة

الطبعة الأولى

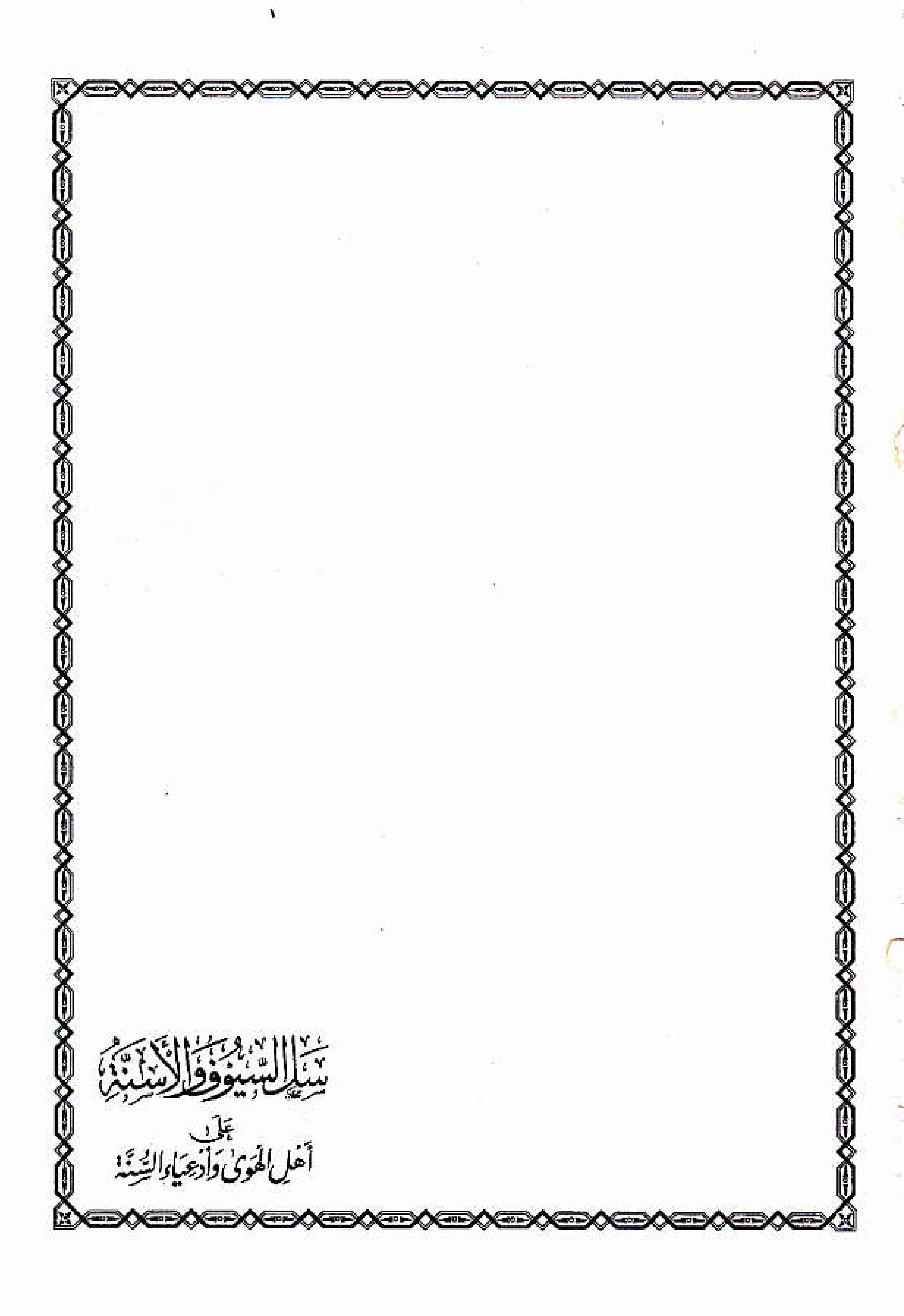
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٣٢٠٠م





٨١ شارع الهدي المحمدي- متفرع من أحمد عرابي-
مساكن عين شمس- القاهرة- جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس: ٧ ٣٧ ٣٦ ٨٨ (٢٠٢+) محمول: ١٧ ٥٣٣ ٣٩/ ٠١٢

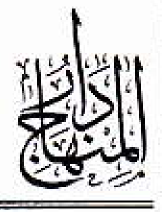

سل السيوف والأسنة
على
أهل الهوى وأدعياء السنة

الطبعة الأولى

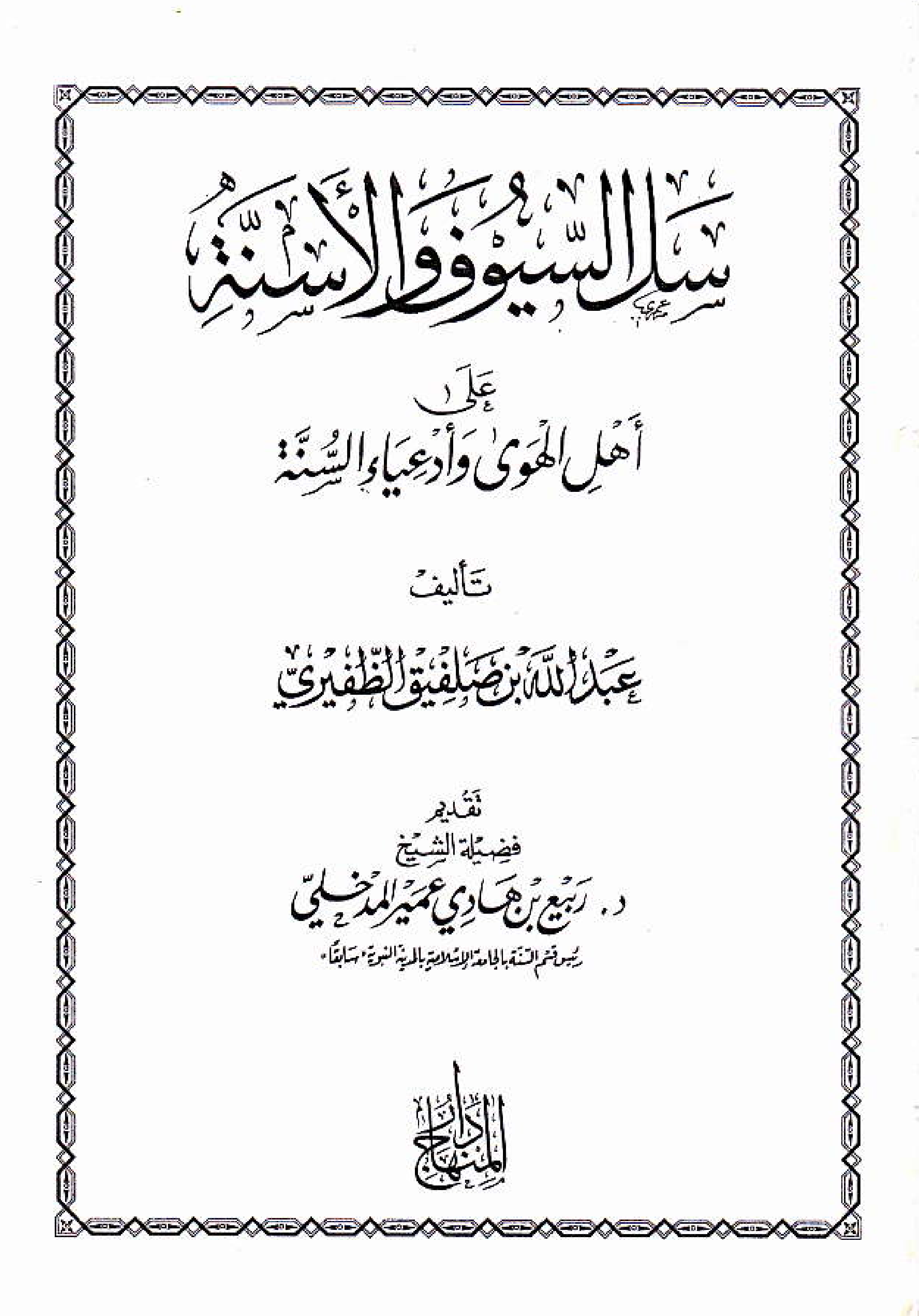
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٣٢٠٠م





٨١ شارع الهدي المحمدي- متفرع من أحمد عرابي-
مساكن عين شمس- القاهرة- جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس: ٧ ٣٧ ٣٦ ٨٨ (٢٠٢+) محمول: ١٧ ٥٣٣ ٣٩/ ٠١٢



سل السيوف والأسنة

على أهل الهوى وأدعياء السنة

تأليف

عبد الله بن صلفيق الظفيري

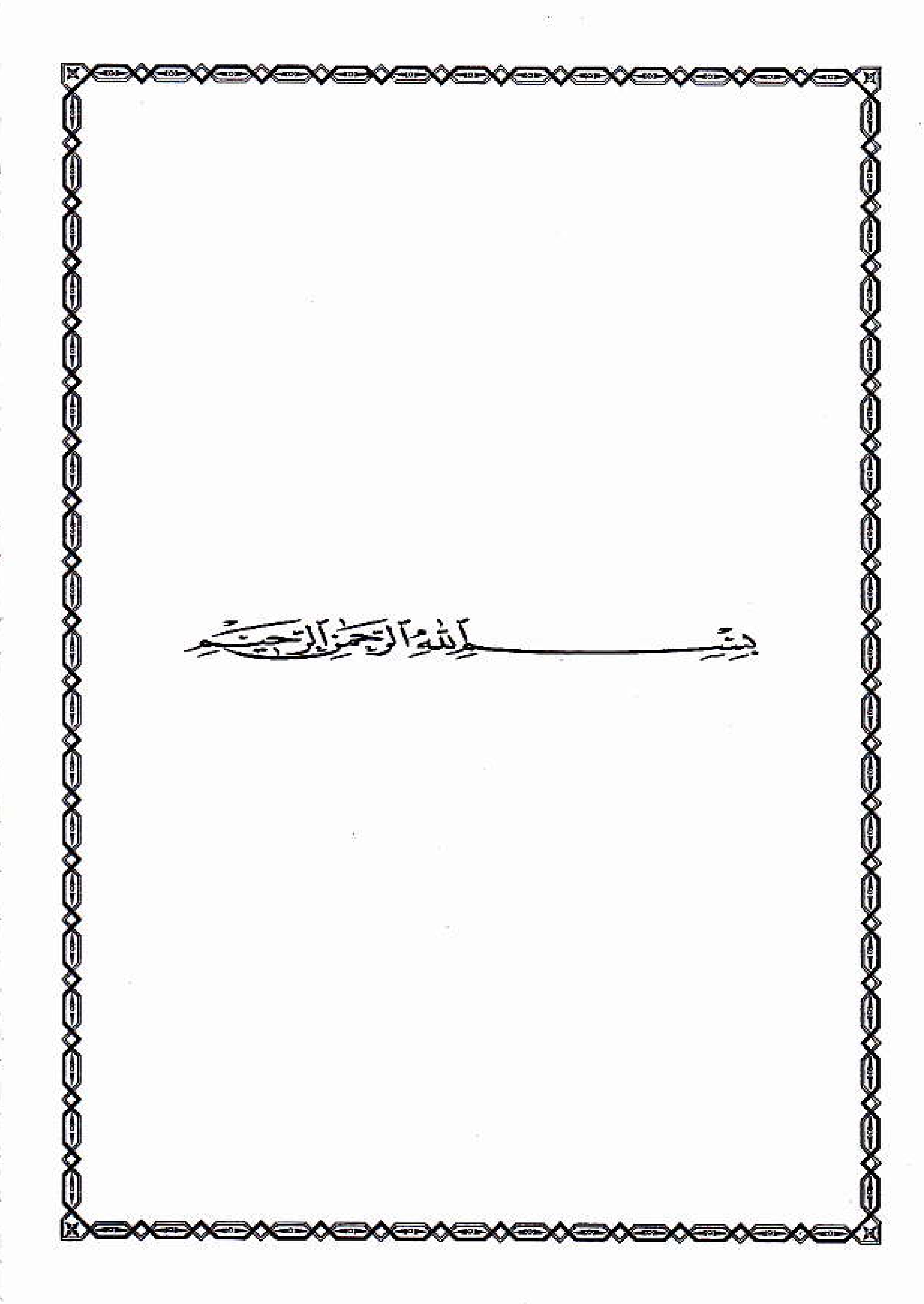
تقديم

فضيلة الشيخ

د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقاً -

دار المنهاج


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ

الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فقد اطلعت على ما كتبه الشاب الذكي الألمعي، الناصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، أحسبه كذلك والله حسيبه، وقف -وفقه الله وسدد خطاه- على مفترق الطرق، حين اشتد الخطب، واستعر لهيب الفتنة، وكثير من الشباب يتساقطون تساقط الفراش في أتونها، يحسبونها جنانًا وأنهارًا، وهي أشبه ما تكون بجنة الدجال، وذلك أن هؤلاء المتساقطين في الفتنة ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ: «**في خفة الطير وأحلام السباع**»[1]. وهو وصف دقيق ينطبق على كثير من ضحايا الفتنة التي دهمت الشباب في هذا العصر.

وقف على مفترق الطرق، فلم ينخدع ببريق الفتنة وزخرفها ومغرياتها، ولَم تنطل عليه حيل ودعاوى دعاتها، بل ما زاده كل ذلك إلا بصيرة بها وبغوائلها وبخداعها وبَهرجها، وخداع وبَهرج دعاتها.

ورأى طريق السنة، والجنة محفوفة بالأشواك والمصاعب والمكاره، فآثر طريق الحق والجنة، ولو حفت بالمكاره، فصمد هو وإخوانه في مواجهتها صمود الشوامخ.

ولَم يكتف بهذا الصمود والثبات في مواجهة تيار الفتنة، بل رأى أن يسهم في

(١) طرف من حديث رواه مسلم في صحيحه في الفتن رقم الحديث (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه: "فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا" صحيح مسلم بشرح النووي. (١٨/٧٥، ٧٦) وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/١٦٦). والحاكم في المستدرك (٤/٥٥٠، ٥٥١).

صدها عن الأمة بكشف عوارها، وهدم أباطيلها، فسدد إليها ضربات موجعة، بل قَاتِلة بالحجج والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة ومواقف أئمة السنة من الأهواء وأهلها، التي ضمنها فصول هذا الكتاب النفيس، الذي أرجو أن ينفع الله به المتضررين المخدوعين بسراب الفتن، وأن يوقظ به النائمين، وينبه به الغافلين، إن ربي لسميع الدعاء.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ١٤١٥/٧/٢٦هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾[١].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أما بعد: فإن خير الحديث كلام الله وخير الهدي هدي مُحمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: ففي الوقت الذي يجب أن يتكاتف فيه المنتسبون لنشر العلم والدعوة إلى الله تحت راية الكتاب والسنة، لكي يعملوا على نشر الإيمان والتوحيد بين العباد، وتعليم الناس أحكام الدين، ويسيروا على خطى السلف في نشر العلم، والالتفاف حول العلماء ويعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، ويلتفوا حول جماعة المسلمين الواحدة، ويضبحوا كالجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فتعود لهم مكانتهم وهيبتهم بين العالم، فإنَّهم بدلاً من ذلك فإن

---

(١) آل عمران:١٠٢

(٢) النساء:١

(٣) الأحزاب: ٧٠-٧١

فئات منهم أصبحوا جماعات وأحزابًا، متفرقين متعادين، يوالون ويعادون للأحزاب والأشخاص، مبتعدين كل البعد من مسلك العلماء ومسلك السلف الصالح، قد تجارت به الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، وترك الاعتماد على الكتاب والسنة وآثار السلف في أخذ وفهم الدين، واعتمد على آراء الرجال، وزخرفت الأقوال، وأميتت هيبة العلم والعلماء وأهل الأثر من القلوب، وأصبح الالتفاف حول المفكرين وأهل الرأي، وعظموا في القلوب؛ فانتشر الجهل والبدع، ومات العلم والورع، وأصبح أهل السنة أمرهم ضعيف بعد أن كان قويًا، وذلك حين كان اجتماعهم على الكتاب والسنة وطريقتهم طريقة سلف هذه الأمة، فأصابنا ما أصاب من قبلنا من الأمم، وصدق فينا خبر نبينا ﷺ، حيث أخبر بافتراق الأمة واتباعها للأهواء، فأصبحنا وقد شمتت بنا الأعداء، وفرحوا بِما نحن فيه من تفرق واتباع للأهواء، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وما أسباب ذلك إلا البعد عن وصية من كان بِهذه الأمة رؤوفًا رحيمًا ﷺ، حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»[1]. وترك ما سطره علماء وجهابذة الأمة من قواعد شرعية واستنباطات فقهية.

ولقد قمت -بحمد الله وتوفيقه- بجمع هذه الفصول التي بين أيدينا، والتي ضمنتها من النصوص القرآنية والأقوال النبوية، ومن أقوال واستنباطات وفهم جهابذة الأمة، راجيًا من العلي القدير أن تكون نبراسًا لطلاب العلم، يستضيئون بِها في طريق طلبهم للعلم، ودعوتِهم إلى الله ﷻ وهذه الفصول هي:

الفصل الأول: في وجوب التجرد لله وتحريم اتباع الهوى.

الفصل الثاني: في بيان أن الله ﷻ قد أكمل بنبيه ﷺ الدين.

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٣٠).

الفصل الثالث: في وجوب اتباع السلف الصالح في فهم الدين وأسباب ذلك.

الفصل الرابع: في بيان من هم العلماء؟ وبيان فضلهم، وكيف حفظ الله بِهم الدين؟.

الفصل الخامس: في بيان أن من علامات أهل البدع والأهواء الطعن في علماء أهل السنة وتمجيد المبتدعة.

الفصل السادس: في بيان موقف أهل السنة من السلطان المسلم وذكر وصف الخوارج.

الفصل السابع: في بيان افتراق الأمة وأسباب ذلك.

الفصل الثامن: في بيان الفرقة الناجية وأصولها وصفاتها.

الفصل التاسع: في بيان موقف أهل السنة من أهل البدع.

هذا وأسأل الله الحي القيوم التوفيق والسداد، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجه الله الكريم، وأسأله ﷻ أن يهدي ضال المسلمين، وأن يؤلف بين قلوب أهل الإسلام، ويجمعهم على الحق، وأن يرفع راية أهل التوحيد والسنة، ويجعل لهم التمكين في الأرض، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبد الله بن صلفيق القاسمي الظفيري

وخُتِمَ هذا الكتاب -بحمد الله وتوفيقه- في يوم الثلاثاء

لاثنين وعشرين خلت من شهر ربيع الثاني

لعام خمسة عشر وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ

حفر الباطن/ص.ب: (١٤٥٧)

الفصل الأول

في وجوب التجرد لله وتحريم اتباع الهوى

لقد خلق الله ﷻ الخلق لعبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالى مبينًا هذا الأصل العظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(١). وعبادته هي التوحيد والإخلاص والتجرد له، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وإن من العبادة: التسليم لأمر الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢). وقال الله تعالى -أيضًا-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٤).

ولن يحقق الإنسان العبودية لله إلا إذا تجرد لله حق التجرد، وانقاد لأمره حق الانقياد، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾(٥).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-(٦): "وعبادته هي طاعته بفعل المأمور

---

(١) الذاريات:٥٦

(٢) النساء:٦٥

(٣) الأنعام:١٦٢-١٦٣

(٤) الفاتحة:٥

(٥) الأحزاب:٣٦

(٦) هو الحافظ المحدث الفقيه المجتهد الثقة الشيخ: سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمهم الله تعالى-. انظر ترجمته مطولة في مقدمة كتاب: "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد"، وهي بقلم الشيخ: إبراهيم بن مُحمَّد آل الشيخ -رحمه الله تعالى-.

وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام، لأن معنى الإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخشوع"(١).

وقال -أيضًا- رحمه الله:"وتحقيق التوحيد هو معرفته، والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علمًا وعملاً، وحقيقة ذلك: هو انجذاب الروح إلى الله محبة خوفًا وإنابة وتوكلاً وإخلاصًا وإجلالاً وهيبة وتعظيمًا وعبادة، وبالجملة: فلا يكون في قلبه شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله، وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه والمعبود، وما أحس ما قاله ابن قيم:

فلواحد كن واحدًا في واحد أعني سبيل الحـــق والإيمان

وذلك هو حقيقة الشهادتين، فمن قام بهما على هذا الوجه فهو من السبعين ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب"(٢).

وقال شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾(٣). الآية" ثم قال: فيه مسائل: الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"(٤).

فلابد من الإخلاص والتجرد لله، ولا ينفع الإخلاص صاحبه إلا بموافقة هدي المصطفى ﷺ واجتناب الهوى، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٥). وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٦). وأحسن

---

(١) "تيسير العزيز الحميد" (ص٧٦).

(٢) "تيسير العزيز الحميد" (ص٧٦).

(٣) يوسف:١٠٨

(٤) "فتح المجيد" (ص١٠١).

(٥) الكهف:١١٠

(٦) الملك:١-٢

عملاً أي: أخلصه وأصوبه.

وقال ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١).

ولهذا فقد أرسل الله ﷻ نبيه مُحمَّدًا ﷺ لدعوة الناس إلى هذا الأمر العظيم، وتحذيرهم من اتباع الأهواء.

روى البخاري في صحيحه بسنده إلى عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾. إلى قوله: ﴿**أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(٢). قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم**»(٣).

ولقد أخبر الرسول ﷺ عن الأهواء في سياق الذم والتحذير.

قال ابن أبي عاصم -رحمه الله-: "ذكر الأهواء المذمومة، نستعصم الله تعالى منها، ونعوذ به من كل ما يوجب سخطه"، ثم ذكر بسنده إلى معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون أقوام تتجارى بِهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه مفصل إلا دخله**»(٤).

ثم ذكر رواية أخرى عن أبي عامر الهوزني: أنه حج مع معاوية فسمعه يقول: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا فذكر: «**أن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة. رقم الحديث (٢٩٨٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٩).

(٢) آل عمران:٧

(٣) "فتح الباري" (٨/٢٠٩)، ومسلم في العلم، حديث (٢٦٦٥)، وابن أبي عاصم في "السنة" (ص٩).

(٤) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٧).

في الأهواء، ألا وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوى يتجارى بِهم ذلك الهوى كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يدع منه عرقًا ولا مفصلاً إلا دخله»[١].

بل لقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الأهواء، ويخشى على أمته منها.

روى ابن أبي عاصم بسنده إلى زياد بن علاقة إلى عمه، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بِهؤلاء الدعوات: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء**»[٢].

وبسنده إلى أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أخشى عليكم بعدي: بطونكم، وفروجكم، ومعضلات الأهواء**»[٣].

وروى -أيضًا- بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: كنا جلوسًا عند النَّبِي ﷺ فخط خطًا هكذا أمامه، فقال: «**هذا سبيل الله ﷻ**». وخط خطًا عن يمينه وخط خطًا عن شماله، وقال: «**هذه سبل الشيطان**». ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٤] [الأنعام:١٥٣].

وكان سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- يحذرون من الأهواء، ويحذرون غيرهم منها.

فقد روى اللالكائي في "أصول الاعتقاد" بسنده إلى طاوس، قال: قال رجل

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٧).

والكَلَب بالتحريك، داء يعرض للإنسان من عض الكلب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحدًا إلا كَلِب، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا. النهاية في غريب الحديث (١٩٥/٤).

(٢) "السنة" لابن أبي عاصم (ص١٢).

(٣) "السنة: لابن أبي عاصم (ص١٢).

(٤) "السنة" لابن أبي عاصم (ص١٣).

لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم. فقال: كل هوى ضلالة[١].

وروى -أيضًا- بسندهِ إلى ابن عمر قال: "ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحًا بأن قلبي لَم يدخله شيء من هذه الأهواء"[٢].

وروى -أيضًا- بسنده إلى طاوس قال: "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه"[٣].

وبسنده إلى الشعبي قال: "إنَّما سميت الأهواء لأنَّها تَهوي بصاحبها في النار"[٤].

وبسنده إلى أبي العالية قال: "ما أدري أي الغنمين عليَّ أعظم، إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى؟"[٥].

وبسنده إلى مُحمَّد بن سيرين أنه قال: "لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء"[٦].

فانظروا -يا أهل الإسلام- شدة حذر السلف من الأهواء وهروبهم منها فرحمهم الله رحمة واسعة ووفقنا لسلوك مسلكهم.

ويقول الإمام البربَهاري -رحمه الله-: "واعلم رحمك الله أن الدين إنَّما جاء من قِبَل الله تبارك وتعالى، لَم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئًا بِهواك، فتمرق من الدين[٧] فتخرج من الإسلام؛ فإنه لا

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٤) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٥) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٦) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٧) هذا -والله أعلم- كقول النَّبِي ﷺ للخوارج: "يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون =

حجة لك، فقد بين رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه، وهم الجماعة والسواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر".

وقال -أيضًا-: "وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى"[(١)].

وقال -أيضًا-: "واعلم أن الأهواء كلها ردية، تدعو إلى السيف"[(٢)].

وقال -أيضًا-: "وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب، فاسقًا فاجرًا صاحب معاصي[(٣)] ظالمًا، وهو من أهل السنة؛ فاصحبه واجلس معه، فإنه ليس

من الدين كما يرق السهم من الرمية".

ومعلوم أن الصحابة كعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم- لَم يفهموا من هذا الحديث تكفير الخوارج، وإخراجهم من الملة، بل إن عليًا ﷺ كان يقول: "من الكفر فروا"، فلا يحملْ كلام المؤلف على تكفير أهل البدع -أعني: البدع الغير مكفرة- ومعلوم عند السلف أن نصوص الوعيد في القرآن والسنة تبقى على ظاهرها زجرًا وردعًا، وكلام المؤلف من هذا الباب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به، وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع؛ فهذا ليس بكافر أصلاً، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيرًا لها، ولَم يكن في الصحابة من يكفرهم، لا علي ابن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع. الفتاوى (٧/٢١٧).

وانظر أيضًا: "الفتاوى" (٣/٢٧٨) ففيه كلام عظيم في هذا الباب.

(١) "شرح السنة" للبربهاري (ص١٢١).

(٢) "شرح السنة" للبربهاري (ص١٢١).

(٣) والمقصود: مقارنة مع صاحب البدعة، فإن مجالسة صاحب المعصية الفاسق، وهو من أهل السنة مجانبًا للأهواء والبدع، لا تجر إلى بدعة وهوى، بعكس مجالسة صاحب الهوى =

تضرك معصيته، وإذا رأيت الرجل عابدًا مجتهدًا متقشفًا محترقًا بالعبادة، صاحب هوى فلا تجلس معه، ولا تسمع كلامه، ولا تمشي معه في الطريق، فإني لا آمن أن تستحلي طريقه فتهلك معه.

ورأى يونس بن عبيد ابنه -وقد خرج من عند صاحب هوى- فقال: يا بني من أين خرجت؟ قال: من عند عمرو بن عبيد.

قال: "يا بني، لئن أراك خرجت من بيت هيتي أحب إليّ من أن تلقاه بقول أهل الأهواء"[1].

قال البربَهاري -معلقًا-: "أفلا تعلم أن يونس قد علم أن الهيتي لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره؟.

فاحذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالس؟ وممن تسمع؟ ومن تصحب؟"[2].

وقال -أيضًا-: "وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريقة أهل السنة قبلك: فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام والجدالَ والمراء والقياس والمناظرة في الدين، فإن

والبدعة فإنَّها تجر إلى هوى وبدعة، ولذلك يقول الشاطبي -رحمه الله-: "المسألة الثانية والعشرون: وبيان ذلك أن داء الكَلَب فيه ما يشبه العدوى، فإن أصل الكَلَب واقع بالكلب. ثم إذا عض ذلك الكَلبُ أحدًا صار مثله ولَم يقدر على الانفصال منه في الغالب إلا بالهلكة، فكذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلما يسلم من غائلته، بل إما يقع معه في مذهبه، ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكًا يطمع في الانفصال عنه فلا يقدر. هذا بخلاف سائر المعاصي فإن صاحبها لا يضاره، ولا يدخله منها غالبًا إلا مع طول الصحبة والأنس بها، والاعتياد لحضور معصيته وقد أتى في الآثار ما يدل على هذا المعنى، فإن السلف الصالح نَهوا عن مجالستهم ومكالمتهم وكلام مكالمهم وأغلظوا في ذلك. "الاعتصام" (ص٤٦).

(١) "شرح السنة" للبربَهاري (ص١٢٣).

(٢) "شرح السنة" للبربَهاري (ص١٢٣).

استماعك منهم يقدح الشك في القلب، وكفى به قبولاً فتهلك، وما كانت قط زندقة ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس[١]. وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة، فالله الله في نفسك، وعليك بالآثار وأصحاب الآثار والتقليد، فإن الدين إنَّما هو التقليد[٢]. يعني: النَّبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم أجمعين- ومن قبلنا لَم يدعونا في لبس، فقلدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر"[٣].

وقال ابن بطة العكبري في مقدمة كتابه "الإبانة"-وهو ينعي أهل زمانه-: "أما بعد: يا إخواني، عصمنا الله وإياكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطأ وشماتة الأعداء، وأجارنا وإياكم من غير الزمان وزخارف الشيطان، فقد كثر المغترون بتمويهاتِها، وتباهى الزائغون والجاهلون بلبسة حلتها، فأصبحنا وقدِ أصابنا ما أصاب الأمم قبلنا، وحل الذي حذرناه نبينا مُحمَّد ﷺ من: الفرقة والاختلاف، وترك الجماعة والائتلاف، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا، وترك الجمهور منا ما به أمرنا، فخلعت لبسة الإسلام، ونزعت حلية الإيْمان، وانكشف الغطا، وبرح الخفا، فعبدت الأهواء، واستعملت الآراء، وقامت سوق الفتنة وانتشرت أعلامها، وظهرت الردة وانكشف قناعها، وقدحت زناد الزندقة فاضطرمت نيرانُها، وخلف مُحمَّد ﷺ في أمته بأقبح الخلف، وعظمت البلية، واشتدت الرزية، وظهر المبتدعون، وتنطع المتنطعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، وهتكت سجف

---

(١) أي: القياس الفاسد، وهو القياس مع وجود النص، أو المراد به: القياس في مسائل الاعتقاد والغيب، وسيأتي من كلام أبي القاسم الأصبهاني ما يوضح ذلك.

(٢) والمقصود بالتقليد هنا أي: في أمور الاعتقاد وأصول السنة، ومثله قول عبد الله بن مسعود: "نحن قوم نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدي" ومثل قول البربَهاري -أيضًا-: "وعليك بالأمر الأول العتيق". "شرح السنة" للبربَهاري (ص١٠٩).

(٣) "شرح السنة" للبربَهاري (ص١٢٧).

المشاينة، وشهر سيف المحاشة، بعد أن كان أمرهم هينًا، وحدهم لينًا، وذلك حتى[١] كان أمر الأمة مجتمعًا، والقلوب متآلفة، والأئمة عادلة، والسلطان قاهرًا، والحق ظاهرًا، فانقلبت الأعيان، وانعكس الزمان، وانفرد كل قوم ببدعتهم، وحزب الأحزاب، وخولف الكتاب، واتخذ أهل الإلحاد رؤوسًا أربابًا، وتحولت البدعة إلى أهل الاتفاق، وتهوك في العسرة العامة وأهل الأسواق، ونعق إبليس بأوليائه نعقة فاستجابوا له من كل ناحية، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية، فألبسوا شيعًا، وميزوا قطعًا، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة والمذاهب المخالفة. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وما ذلك إلا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر الله، وصدهم عن الحق، وميلهم إلى الباطل، وإيثارهم أهواءهم، ولله ﷻ عقوبات في خلقه عند ترك أمره[٢]، ومخالفة رسله، فأشعلت نيران البدع في الدين، وصاروا إلى سبيل المخالفين، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الأمم الماضين، وصرنا في أهل العصر الذين وردت فيهم الأخبار ورويت فيهم الآثار"[٣]. ثم ساق الأخبار الواردة في افتراق الأمة بأهوائها.

ونقل -رحمه الله- بعض الآثار عن السلف التي تنهى وتحذر من اتباع الأهواء، وذلك في كتابه الآخر "الإبانة الصغرى" فمن ذلك:

قول عمر بن الخطاب ﷺ: "أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها؛ فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا"[٤].

وقول علي بن أبي طالب ﷺ: "الهوى يصد عن الحق"[٥].

---

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: حين.

(٢) أقول: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سورة النور، آية: ٦٣.

(٣) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" (١/١٦٣).

(٤) "الإبانة الصغرى" (ص١٢١).

(٥) "الإبانة الصغرى" (ص١٢٢).

وقول الحسن: "ما من داء أشد من هوى خالط قلبًا"[١].

وقول أبي قلابة: "إياكم وأصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون"[٢].

وقول عبد الله بن عون البصري: "إذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه"[٣].

وقول أرطأة بن المنذر: "لئن يكون ابني فاسقًا من الفساق أحب إليّ من أن يكون صاحب هوى"[٤].

وقول مالك بن أنس: "لَم يكن من هذه الأهواء على عهد النَّبِي ﷺ ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان"[٥].

وقول أبي قلابة -أيضًا-: "إن أهل الأهواء أهل ضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار، فجربْهم؛ فليس أحد منهم ينتحل رأيًا أو قال قولاً فيتناهى دون السيف، وإن النفاق كان ضروبًا، ثم تلا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ﴾ [التوبة:٧٥]. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة:٥٨]. ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة:٦١]. واختلف قولهم واجتمعوا في الشك والتكذيب، وإن هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار"[٦].

وقول إبْراهيم النخعي في قوله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة:٦٤]. قال: "هم أصحاب الأهواء"[٧].

---

(١) "الإبانة الصغرى" (ص١٢٤).

(٢) "الإبانة الصغرى" (ص١٢٥).

(٣) "الإبانة الصغرى" (ص١٣١).

(٤) "الإبانة الصغرى" (ص١٣٢).

(٥) "الإبانة الصغرى" (ص١٣٧).

(٦) "الإبانة الصغرى" (ص١٣٨).

(٧) "الإبانة الصغرى" (ص١٤١).

قال ابن بطة -تعليقًا-: "أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة، والأهواء المتبعة، والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغض، وعن نصيحة وموالاة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة"(١).

وقال الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني -رحمه الله-: "فقد أمرك الله بأن تكون تابعًا سامعًا مطيعًا، ولو توسع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذًا لضلوا، ألم تسمع إلى قول الله -تعالى-: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون:٧١]. فافهم ما فسر لك"(٢).

وقد تكلم الشاطبي -رحمه الله- في كتابه "الاعتصام" عن الأهواء، في باب: ذم البدع وسوء منقلب أصحابها، فقال: "والخامس: أنه -أي: اتباع البدع- اتباع للهوى، لأن العقل إذا لم يكن متبعًا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى، وأنه ضلال مبين، ألا ترى قول الله -تعالى-: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [ص:٢٦].

فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنه، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجردًا إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك.

وقال: ﴿**وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ [الكهف:٢٨]. فجعل الأمر محصورًا بين أمرين: اتباع الذكر، واتباع الهوى.

---

(١) "الإبانة الصغرى" (ص١٤١).

(٢) "الحجة في بيان المحجة" لأبي القاسم الأصبهاني (١/١٣٣).

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ [القصص:٥٠]. وهي مثل ما قبلها.

وتأملوا هذه الآية فإنّها صريحة في أن من لَم يتبع هدى الله في هوى نفسه فلا أحد أضل منه، وهذا شأن المبتدع، فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله، وهدى الله هو القرآن.

وما بينته الشريعة وبينته الآية أن اتباع الهوى على ضربين:

أحدهما: أن يكون تابعًا للأمر والنهي، فليس بمذموم ولا صاحبه بضال، وقد قدم الهدى فاستنار به في طريق هواه، وهو شأن المؤمن التقي.

والآخر: أن يكون هواه هو المقدم بالقصد الأول، كان[1] الأمر والنهي تابعين بالنسبة إليه أو غير تابعين، وهو المذموم، والمبتدع قدم هوى نفسه على هدى الله فكان أضل الناس؛ وهو يظن أنه على هدى.

وقد انجر هنا معنى يتأكد التنبيه عليه، وهو أن الآية المذكورة عينت للاتباع في الأحكام الشرعية طريقين:

أحدهما: الشريعة ولا مرية في أنّها علم وحق وهدى.

والآخر: الهوى، وهو المذموم؛ لأنه لَم يذكر في القرآن إلا في سياق الذم، ومن تتبع الآيات ألفى ذلك كذلك.

ثم العلم الذي أحيل عليه، والحق الذي حُمد؛ إنّما هو القرآن وما نزل من عند الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام:١٤٣]. وقال بعد ذلك: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٤]. وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ

(١) أي: سواء كان الأمر والنهي ...إلخ.

ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٤٠]. وهذا كله لاتباع أهوائهم في التشريع بغير هدى من الله، وقال: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. وهو اتباع الهوى في التشريع بغير هدى من الله.

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ﴾ [الجاثية:٢٣]. أي: لا يهديه دون الله شيء، وذلك بالشرع لا بغيره[1]، وهو الهدى.

وإذا ثبت هذا، وأن الأمر دائر بين الشرع والهوى؛ تزلزلت قاعدة حكم العقل المجرد، فكأنه ليس للعقل في هذا الميدان مجال، إلا من تحت نظر الهوى، فهو إذًا اتباع الهوى بعينه في تشريع الأحكام"[2].

فانظروا -بارك الله فيكم- كيف سمى الله تعالى من اتبع عقله ورأيه متبع لهواه، ووصف من اتبع هواه بالضلال، ألا يدل ذلك على خطورة الهوى، وأنه يجب على الإنسان أن يحذر على نفسه اتباع الهوى؟.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن المعلوم أن مجرد نفور النافرين أو محبة الموافقين لا يدل على صحة قول ولا فساده إلا إذا كان ذلك بهدى من الله، بل الاستدلال بذلك هو استدلال باتباع الهوى بغير هدى من الله، فإن اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١١٩]. وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ [القصص:٥٠]. وقال تعالى لداود: ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [ص:٢٦].

---

(١) أي: أن الله تعالى وفقه لاتباع الشرع، وهو الهدى.

(٢) "الاعتصام" للشاطبي (ص٢٩، ٤٠).

وقال تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]. فمن اتبع هوى الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله، وبعد هدى الله الذي بينه لعباده؛ فهو بهذه المثابة.

ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع والتفرق والمخالفين للكتاب والسنة: أهل الأهواء، حيث قبلوا ما أحبوه، وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله"[١].

والهوى له مشارب كثيرة، وهو باختصار كما قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: "والهوى لا ضابط له، وهو مدعاة لمعارضة الحق أبدًا".

قلت: ولا بأس أن نذكر بعض أنواعه على سبيل المثال لا الحصر، وخاصة ما ينتشر في هذه الأيام من الأهواء، وذلك مثل:

١- الاعتماد على الرأي في أمور الاعتقاد والأحكام والدعوة وأساليبها، وترك الاستدلال من القرآن أو السنة أو إجماع السلف.

٢- عدم الانصياع للدليل.

٣- الاستدلال على الرأي بأي دليل ولو لم يكن هناك وجه مطابقة للاستدلال.

٤- تأويل وتحريف الأدلة على ما يريده ويهواه ويؤصله، وهذا رائج في أهل الأهواء، اعتقاد وتأصيل ثم استدلال.

---

(١) "فتاوى ابن تيمية" (٤/١٨٩-١٩٠).

٥- الاعتماد على قول عالم ما أو داعية ما واتباعه ولو خالف الدليل واتضحت مخالفته، بل إن بعضهم يلوي أعناق الأدلة ليستدل بِها على قول كبيرهم ومن يتبعونه.

٦- الانتماء للأحزاب والتنظيمات السرية، واتباع أقوالها وأوامرها، دون نظر هل هي موافقة للشرع أم لا؟.

٧- إلزام الأتباع بفكر معين، أو رأي معين، أو كتاب معين، وتربيتهم عليه، أعني: ما يخالف الشرع والدليل.

٨- حرمان الناس -وخاصة الأتباع- الاستماع لكلام عالم سلفي، أو قراءة كتابه، أو محاولة منع انتشاره بأي وسيلة كانت.

٩- عدم قبول أي رد أو كلام يقال عن الدعاة المعظمين عندهم، أو المنظرين والموجهين لهم، ويجعلون هذا الرد أو هذا الكلام من باب الحسد لا من باب الغيرة على الدين والنصيحة لكل مسلم، أو اتباعهم لقاعدة: أن الطعن بين الأقران مردود؛ لأنه مبني على التنافس بينهم، وبذلك طعنوا في النيات، وابتعدوا عن أمر الله بوجوب إحسان الظن من جهة، وقضوا على أصل من أصول الدين وهو الرد على المخالف من جهة أخرى، ونسوا أو تناسوا أن الجرح المفسر يؤخذ به، ويقدم على التعديل.

١٠- قيامهم بحرق كتب أهل السنة؛ التي توضح الدين الصحيح وترد على المخالفين، فيقوم من تربى على التحزب للهوى والأشخاص بحرق ذلك الكتاب، وفي المقابل يقومون بنشر كتب أهل البدع.

١١- العمل على تشويه صورة العلماء في نفوس العامة والشباب، ووصفهم لورثة الأنبياء بأوصاف منفرة لأجل صرف الناس عنهم، وذلك: مثل اتّهامهم بأنّهم عملاء، وأنّهم مداهنون متزلفون، أو لا يفهمون الواقع! وغير ذلك من الحركات والأساليب تجاه العلماء، والتي هي في غاية الخبث والدناءة.

نعوذ بالله من الخذلان، وزيغ القلوب.

١٢- اتخاذ الكذب وسيلة لنشر دعوتهم.

وما ذكرنا إنَّما هو غيض من فيض من أساليب وأعمال أهل الزيغ والهوى، وكلها مدعاة لمعارضة الحق، وصد عن سبيل الله، ومحاولة لإطفاء نور الحق ومسلك سلف هذه الأمة، ولكن أنى لهم ذلك، والحرب سجال، والغلبة لأهل الإيْمان والاتباع، والسعيد من كان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والابتداع، وإن كان جولة أهل الهوى ساعة فجولة أهل الحق إلى قيام الساعة. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وليعلم السني أنه يجب عليه أن يكون دائمًا سالاً سيفه ورمحه ضد الشيطان وأتباعه من أهل الأهواء والبدع، حتى لا يكون فريسة لهم.

يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "فإذا أعجزه العبد -أي: أعجز الشيطان- من هذه المراتب الست وأعيي عليه؛ سلط -أي: الشيطان- عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع، والتحذير منه، وقصد إخماله وإطفائه، ليشوش عليه قلبه، ويشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به، فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه، لا يفتر ولا ينسى، فحينئذ يلبس المؤمن لأمة الحرب، ولا يضعها عنه إلى الموت، ومتى وضعها أسر أو أصيب، فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله"[(١)].

وخلاصة الكلام: أن اتباع الهوى ضلال وانحراف عن عبودية الله تعالى واتباع الرسول ﷺ، وما أنزلت الشريعة وأرسل الرسل إلا ليستغني الإنسان بذلك عن اتباع هواه وعقله، قال الشاطبي -رحمه الله-: "النوع الرابع: أن الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله"[(٢)].

---

(١) "بدائع التفسير" (٥/٥٨) تفسير سورة الناس.

(٢) "الاعتصام: للشاطبي (ص٤٩٩).

الفصل الثاني

بيان أن الله ﷻ قد أكمل بنبيه ﷺ الدين

لقد كان العرب خاصة والعالم عامة قبل البعثة المحمدية في ضلال وانحراف وجاهلية، فمن عبودية للأحجار والأشجار، وإنكار للبعث، وتصديق بالكهان والسحرة والمشعوذين، إلى انحرافات خلقية واجتماعية وسياسية إلى غير ذلك من الضلال والتيه.

وعندما أراد الله الرحمن الرحيم رحمة العباد وإنقاذهم مما هم فيه من ضلال وتيه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، يعرفون نسبه، ويعرفون خلقه وصدقه وأمانته؛ مُحمَّد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [الجمعة:٢].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه من خلقه، وحجته على عباده، فهو رحمته المهداة إلى العالمين، ونعمته التي أتمها على أتباعه من المؤمنين، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، وطموس من السبل، وقد استوجب أهل الأرض أن ينْزل بساحتهم العذاب، وقد نظر الجبار -جل جلاله- إليهم؛ فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وكانت الأمم إذ ذاك ما بين مشرك بالرحمن عابد للأوثان، وعابد للنيران، وعابد للصلبان، أو عابد للشمس والقمر والنجوم، كافر بالله الحي القيوم، أو تائه في بيداء ضلالته حيران، قد استهواه الشيطان، وسد عليه طريق الهدى والإيمان فالمعروف عنده ما وافق إرادته ورضاه، والمنكر ما خالف هواه، قد تخلى عنه الرحمن، وقارنه الخذلان، يسمع ويبصر بهواه لا بمولاه، ويبطش ويمشي بنفسه وشيطانه لا

بالله، فباب الهدى دونه مسدود، وهو عن الوصول إلى معرفة ربه واتباع مرضاته مصدود، فأهل الأرض بين تائه حيران، وعبد للدنيا فهو عليها لهفان، ومنقاد للشيطان جاهل أو جاحد، أو مشرك بالرحمن.

فالأرض قد غشيتها ظلمة الكفر والشرك والجهل والعناد، قد استولى عليها أئمة الكفر، وعساكر الفساد، وقد استند كل قوم إلى ظلمات آرائهم، حكموا على الله بين عباده بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، فسوق الباطل نافقة لها القيام، وسوق الحق كاسدة لا تقام، فالأرض قد صالت جيوش الباطل في أقطارها ونواحيها، وظنت أن تلك الدولة تدوم لها، وأنه لا مطمع لجند الله وحزبه فيها.

فبعث الله رسوله ﷺ، وأهل الأرض أحوج إلى رسالته من غيث السماء، ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم حنادس الظلمات، فحاجتهم إلى رسالته فوق جميع الحاجات، وضرورتُهم إليها مقدمة على جميع الضرورات، فإنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا لذة، ولا سرور، ولا أمان ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربَها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربُها إليه ويدنيها من مرضاته.

ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن يبعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ومن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتِهم وزبدة رسالتهم: معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها، وأن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو، المخوف، المحبوب، المطاع، المعبود"[1].

وقد قام ﷺ بحمل الرسالة خير قيام، فدعا الناس إلى عبادة الله وحده لا

---

(١) "الصواعق المرسلة" (١/١٨٤).

شريك له، ومكث في قومه على ذلك ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله، ويصحح اعتقاد العباد، وناله من قومه الأذى فواجه التكذيب والسخرية والاتهامات، ومع ذلك قد تحمل الأذى، وصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وكان الله مع ذلك يرعاه ويحفظه وينزل عليه الآيات المسلية له، والتي تقوي عزيمته، قال تعالى: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**[1].

ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وشرع له الجهاد، واستمر نزول الوحي عليه، يبين فيه الله الدين وما فيه صلاح للعباد في المعاش والمعاد، حتى توفي رسول الله ﷺ وقد أكمل الله ببعثته الدين، وختم برسالته بعثة الرسل، وجعل شريعته مهيمنة على سائر الشرائع، وألزم جميع الثقلين الدخول في شريعته، قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾**[2].

قال البخاري -رحمه الله- في "صحيحه": "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة" ثم قال:

"حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، عن مسعر، عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب، قال: قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أن علينا نزلت هذه الآية: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾**.

---

(١) الأنعام:٣٣-٣٦

(٢) المائدة:٣

لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة"[١].

وقال البخاري -أيضًا-: "باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ"، ثم قال: "حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، أخبرنا عمرو بن مرة: سمعت مرة الهمداني يقول: قال عبد الله: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي مُحمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها، وإنَّ ما توعدون لآت وما أنتم عاجزون"[٢].

وقال البخاري -أيضًا-: "حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النَّبِي ﷺ قال: **«يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجو، وكذبني طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»**[٣].

وقال البخاري -أيضًا- في كتاب المناقب: "باب خاتم النبيين"، ثم قال: "حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»**[٤].

قال ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث: "وفي الحديث: ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النَّبِي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين،

---

(١) "فتح الباري" (١٣/٢٤٥).

(٢) "فتح الباري" (١٣/٢٤٩).

(٣) "فتح الباري" (١٣/٢٥٠).

(٤) "فتح الباري" (٦/٥٥٨).

وأكمل به شرائع الدين"[١].

وقال الإمام اللالكائي -رحمه الله تعالى-: "سياق ما روي عن النَّبِي ﷺ في الحث على التمسك بالكتاب والسنة". ثم ساق بسنده إلى العرباض بن سارية أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة دمعت منها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فبما تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها ونهارها، لا يرجع عنها بعدي بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فعضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، وإنما المؤمن كالجمل الآنف حيث قيد انقاد**». وفي رواية: فأوصنا. قال: «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم فسيرى بعدي اختلافًا كثيرًا، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٢].

وقال الإمام الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني في كتاب "السنة": "باب: ذكر قول النَّبِي ﷺ: «**تركتكم على مثل البيضاء**». وتحذيره إياهم أن يتغيروا عما يتركهم عليه، وأمره بسنته وسنة الخلفاء الراشدين بعده". ثم قال:

"حدثنا هشام بن عمار، ثنا مُحمَّد بن عيسى بن سميع، ثنا إبراهيم بن سليمان الأفطي، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، قال: خرج رسول الله ﷺ علينا فقال: «**ايم الله، لأتركنكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها سواء**». فقال أبو الدرداء: صدق الله ورسوله، فقد تركنا على مثل البيضاء"[٣].

---

(١) "فتح الباري" (٥٥٨/٦).

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٧٤/١).

(٣) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٢٦).

وقال -أيضًا-: "حدثنا مُحمَّد بن عون، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، أن صخرة بن حبيب حدثه، أن عبد الرحمن بن عمرو حدثه، أنه سمع العرباض ابن سارية، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك**»"[1].

وقال -أيضًا- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا هيثم، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النَّبِي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، قال: فغضب فقال: «**أمتهوكون فيها يابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية**»[2].

وقال مُحمَّد بن الحسين الآجري -رحمه الله تعالى-: "فكل من رد سنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه فهو ممن شاقق الرسول وعصاه، وعصى الله ﷻ بتركه قبول السنن، ولو عقل هذا الملحد وأنصف من نفسه؛ علم أن أحكام الله ﷻ وجميع ما تعبد به خلقه، إنَّما تؤخذ من الكتاب والسنة، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يبين لخلقه ما أنزله عليه مما تعبدهم به، فقال جل ذكره: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٤٤]. فقد بين ﷺ لأمته جميع ما فرض عليهم من جميع الأحكام، وبين لهم أمر الدنيا وأمر الآخرة وجميع ما ينبغي أن يؤمنوا به، ولَم يدعهم جهلة لا يعلمون، حتى أعلمهم أمر الموت والقبر، وما يلقى فيه المؤمن، وما يلقى فيه الكافر، وأمر المحشر، والوقوف، وأمر الجنة والنار، حالاً بعد حال، يعرفه أهل الحق"[3].

وقال الإمام الشاطبي -رَحمه الله- بعد ذكر حديث العرباض بن سارية المتقدم: "وثبت أن النَّبِي ﷺ لَم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا،

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٢٧).

(٢) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٢٧).

(٣) "الشريعة" للآجري (ص٣٣٥).

وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة، فإذا كان كذلك فالمبتدع إنما محصول قوله -بلسان حاله أو مقاله-: أن الشريعة لَم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها.

لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه لَم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن مُحمَّدًا خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة:٣]. فما لَم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا"[١].

وقال أبو القاسم الأصبهاني، مبينًا كمال الدين وخطورة أخذ الدين والاعتقاد من غير الكتاب والسنة، والاقتصار على العقل والرأي في ذلك: "اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنَّهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعًا للمعقول.

أما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين: الاتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئًا حتى يعقلوا"[٢].

ونحن نقول: وهذا الفرق -أيضًا- بين المتمسكين بالسنة وبين أهل الأهواء من الجماعات البدعية والتنظيمات الحزبية، فالسلفيون أقوالهم وأفعالهم وطريقتهم يأخذونَها من الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وأولئك يأخذونَها من تفكيرهم وآرائهم، وبحسب المصلحة التي ترجحها عقولهم. فسبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة.

---

(١) "الاعتصام" للشاطبي (ص٣٧).
(٢) "الحجة في بيان المحجة" (١/ ٣٢٠).

يقول الشاطبي -رحمه الله-: "والثاني من أسباب الخلاف: اتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك. وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح"[١].

وقال -أيضًا- في معرض ذكره أمثلة لاتباع الهوى: "رأى أهل التحسين العقليين، فإن محصول مذهبهم: تحكيم عقول الرجال دون الشرع، وهو أصل من الأصول التي بنيَ عليها الابتداع في الدين، بحيث إن الشرع إن وافق آراءهم قبلوه، وإلا ردوه"[٢].

ومن أخطر ما يكون على المسلمين: ترك الكتاب والسنة والاعتماد على أقوال الرجال.

يقول الشاطبي -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ**﴾ [التوبة:٣١]: "فتأملوا يا أولي الألباب، كيف حال الاعتقاد في الفتوى على الرجال من غير تحر للدليل الشرعي، بل لمجرد العرض العاجل، عافانا الله من ذلك بفضله".

ثم قال: "فالحاصل مما تقدم: أن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعًا ضلال، وما توفيقي إلا بالله، وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غير"[٣].

وقال -أيضًا-: "ولقد زَلَّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال

(١) "الاعتصام" للشاطبي (ص٣٩٨).

(٢) "الاعتصام" للشاطبي (ص٥١١).

(٣) "الاعتصام" للشاطبي (ص٥١١).

أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين، واتبعوا أهواءهم بغير علم، وضلوا عن سواء السبيل"[١].

وبعد: فالمقصود من إيراد هذه النصوص الصحيحة الصريحة البينة، وأقوال أئمة السلف هو:

بيان أن الدين قد أكمله الله لنا، وأنه ما من شيء فيه صلاح للمسلم في دينه وأمور عبادته إلا وقد وضحه الله في كتابه العظيم وعلى لسان رسوله ﷺ، وأن النجاة من الانحراف والتيه والهلاك مرتبط بالتمسك بوصية الرسول ﷺ في حثنا على التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين في كل أمر من أمور الدين، كأخذ الأحكام والاعتقاد والولاء والبراء والدعوة إلى الله، وطريق تحقيق العزة والنصر والتمكين في الأرض، وطريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما في ذلك النصح للعامة والخاصة، كل ذلك -والحمد لله- مسطر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فيجب أن نعتقد ذلك، وأن يرافق هذا الاعتقاد القبول والتسليم والعمل، وعدم إحداث شيء بنية الإصلاح والتقرب إلى الله ﷻ وما سبب الفشل والفرقة في هذا الزمان إلا بسبب البعد عن هذا الأصل العظيم.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) "الاعتصام" للشاطبي (ص٥٠٥).

الفصل الثالث

في وجوب اتباع السلف الصالح في فهم الدين وأسباب ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[١].

قال الإمام الخليفة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بِها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بِها مهتد، ومن انتصر بِها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا"[٢].

وقال الإمام البخاري: "حدثنا إسحاق، حدثنا النضر، أخبرنا شعبة، عن أبي جمرة: سمعت زهدم بن مضرب، قال: سمعت عمران بن حصين -رضي الله عنهما- يقول: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم**». قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة؟. «**ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن**»"[٣].

فهذا الحديث إخبار من النَّبِي ﷺ بحال الأمة، يتضمن توجيهًا وتأصيلاً، وهو أن الدين يفهم بفهم أهل القرون الأولى المفضلة، وذلك لأنَّهم خير الأمة، فهم أعلم الناس بدين الله، وهم أغير الناس على دين الله، وهم أفقه قلوبًا، وأقرب إلى عهد

---

(١) النساء:١١٥

(٢) "الشريعة" للآجري (ص٤٨).

(٣) "فتح الباري" (٣/٧).

النبوة، بالإضافة إلى أنهم أعلم الناس بلسان العرب ومراد الشارع؛ كل ذلك يلزم منه أن الحق ما كانوا عليه، وأن الخير والفوز في اتباعهم، والشر والضلال في اجتناب ما كانوا عليه.

وقال اللالكائي -رحمه الله- في أثناء مقدمته لكتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة": "فهلم الآن إلى تدين المتبعين، وسيرة المتمسكين، وسبيل المتقدمين بكتاب الله وسنته، والمنادين بشرائعه وحكمته، الذين قالوا: ﴿آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣]. وتنكبوا سبيل المكذبين بصفات الله وتوحيد رب العالمين، فاتخذوا كتاب الله إمامًا، وآياته فرقانًا، ونصبوا الحق بين أعينهم عيانًا، وسنن رسول الله ﷺ جُنةً وسلاحًا، واتخذوا طرقها منهاجًا، وجعلوها برهانًا، فلقوا الحكمة، ووقوا من شر الهوى والبدعة؛ لامتثالهم أمر الله في اتباع الرسول، وتركهم الجدال بالباطل ليدحضوا به الحق"[1].

وقال -أيضًا- رحمه الله تعالى-: "أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده، ومن فهم توحيده وصفاته، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها، والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع، والاستماع إليها؛ مما أحدثها المضلون.

فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرايق الحق المسلوكة، والدلايل اللاحية المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة، التي عملت عليها الصحابة والتابعون ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين، واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين، ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين واقتفى

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/ ٢٠).

آثارهم من المتبعين، واجتهد في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"[١].

وقال -أيضًا- في أثناء مقدمته؛ واصفًا أصحاب الحديث، ومبينًا وجوب اتباع السلف الصالح: "وروى عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله خطًا، ثم خط خطوطًا يمينًا وشمالاً، ثم قال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**». ثم يقرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام:١٥٣].

وعن ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع.

فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخصهم بهذا الرسم: أصحاب الحديث، لاختصاصهم برسول الله ﷺ، واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وأفعاله، فأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرايعه مشاهدة، وأحكامه معاينة من غير واسطة، ولا سفير بينهم وبينه واصلة، فجاولوها عيانًا، وحفظوا عنه شفاهًا، وتلقفوه من فيه رطبًا، وتلقنوه من لسانه عذبًا، واعتقدوا جميع ذلك حقًا، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينًا، فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله ﷺ مشافهة، لم يشبه لبس ولا شبهة، ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة، والصافة عن الصافة، والجماعة عن الجماعة، أخذ كف بكف وتمسك خلف بسلف، كالحروف يتلو بعضها بعضًا، ويتسق أخراها على أولاها رصفًا ونظمًا.

فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة، وانحفظت بهم أصول السنة، فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة، والدعوة لهم بالمغفرة، فهم حملة علمه، ونقلة دينه،

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٩/١).

وسفرته بينه وبين أمته، وأمناؤه في تبليغ الوحي عنه، فحري أن يكونوا أولى الناس به في حياته ووفاته، وكل طائفة من الأمم مرجعها إليهم في صحة حديثه وسقيمه، ومعولها عليهم فيما يختلف فيه من أموره.

ثم كل من اعتقد مذهبًا فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث، فإن صاحب مقالتهم رسول الله ﷺ، فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون، وإليه يفزعون[1] وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنته بقربهم منه يصولون، فمن يواريهم في شرف الذكر؟! ويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الاسم؟! إذ اسمهم مأخوذ من معاني الكتاب والسنة، يشتمل عليهما لتحققهم بها، أو لاختصاصهم بأخذها، فهم مترددون في انتسابهم إلى الحديث بيْن ما ذكر الله ﷻ في كتابه، فقال تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]. فهو القرآن، فهم حملة القرآن، وأهله، وقراؤه، وحفظته، وبيْن أن ينتموا إلى حديث رسول الله ﷺ فهم نقلته وحملته. فلا شك أنهم يستحقون هذا الاسم لوجود المعنيين فيهم، لمشاهدتنا اقتباس الناس الكتاب والسنة منهم، واعتماد البرية في تصحيحهما عليهم؛ لأنا ما سمعنا عن القرون التي قبلنا ولا رأينا نحن في زماننا مبتدعًا رأسًا في إقراء القرآن، وأخذ الناس عنه في زمن من الأزمان، ولا ارتفعت لأحدهم منهم راية في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما خلت من الأيام، ولا اقتدى بهم أحد في دين ولا شريعة من شرائع الإسلام.

والحمد لله الذي كمل لهذه الطائفة سهام الإسلام، وشرفهم بجوامع هذه الأقسام، وميزهم من جميع الأنام، حيث أعزهم الله بدينه، ورفعهم بكتابه، وأعلى ذكرهم بسنته، وهداهم إلى طريقته وطريقة رسوله ﷺ، فهي الطايفة المنصورة والفرقة الناجية[2] والعصبة الهادية، والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة، والتي لا تريد

---

(١) والمراد بذلك: الرجوع إلى سنته عند التنازع.

(٢) وفي هذا رد على من أحدث القول بالتفريق بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وتهوينه =

لرسول الله ﷺ بديلاً، ولا عن قوله تبديلاً، ولا عن سنته تحويلاً، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان، ولا يصرفهم عن سمتها ابتداع من كاد الإسلام ليصد عن سبيل الله ويبغيها عوجًا، ويصرف عن طرقها جدلاً ولجاجًا، ظنًا منه كاذبًا، وتخمينًا باطلاً أنه يطفئ نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون"[1].

وقال أبو حاتم مُحمَّد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي -رحمه الله-: "مذهبنا واختيارنا: اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم بإحسان[2]،

من أهل الحديث، وتشكيكه بما أثر عن أحمد بن حنبل: أن الطائفة المنصورة الناجية هم أهل الحديث. وانظر الفصل الثامن من هذا الكتاب.

وقد فَنَّدَ هذه المقولة وردها شيخنا الشيخ: ربيع بن هادي المدخلي، في كتابه "أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية" وكذا الشيخ: صلاح الدين مقبول أحمد، من علماء الهند، في كتابه "نظرات في كتاب صفة الغرباء" فراجعهما.

(١) "شرح اعتقاد أهل السنة" (١/٢٢).

(٢) في النسخة المطبوعة هكذا: "مذهبنا واختيارنا اتباع الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، وترك النظر في موضع بدعهم، والتمسك بمذهب أهل الأثر..إلخ.

وقد استغربت العبارة لخطورتها، ولاستحالة أن يقولها الإمام اللالكائي بلا شك ولا ريب، فاتصلت بشيخنا المحدث: ربيع المدخلي -حفظه الله- فأحالني على الشيخ الدكتور: عبد الرزاق بن شيخنا العلامة المحدث: عبد المحسن العباد، وذلك لوجود مخطوطات هذا الكتاب عنده، فبحث -جزاه الله خيرًا- فوجد مطابقة هذا الكلام لما في مخطوطات الكتاب الثلاث، ثم بحث ترجمة أبي حاتم في "طبقات الحنابلة"، وفي "سير أعلام النبلاء" فوجد أن هذه العبارة وهي: "ترك النظر في موضوع بدعهم" تختص بالمتكلمين، ففي "طبقات الحنابلة" (١/٢٨٦) هكذا: "قرأ علينا أبو حاتم هذا الكلام، وقال لنا: مذهبنا واختيارنا، وما نعتقده وندين الله به، ونسأله السلامة في الدين والدنيا: أن الإيمان قول وعمل. إلى أن قال: واتباع الآثار عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين بعدهم بإحسان، وترك كلام المتكلمين، وترك مجالستهم وهجرانهم، وترك من وضع الكتاب بالرأي بلا آثار،

والتمسك بمذهب أهل الأثر، مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والشافعي، ولزومًا[1] الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار، مثل: مالك ابن أنس في المدينة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري وحماد بن زيد بالعراق، من الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وترك رأي الملبسين المموهين المزخرفين الممخرقين الكاذبين، وترك النظر في كتب الكرابيسي، ومجانبة من يناضل عنه من أصحابه"[2].

وقال حرب في مسائله عن الإمام أحمد: "والدين إنما هو كتاب الله ﷻ وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة، يصدق بعضها بعضًا، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ﷿ والتابعين، وتابعي التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم، المتمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار"[3].

يقول شيخ الإسلام الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في "آداب أصحاب

والنظر في موضع بدعتهم، والتمسك بمذاهب أهل الأثر، مثل الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، ولزوم الكتاب والسنة، ونعتقد أن الله ﷻ على عرشه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وأن الإيمان يزيد وينقص، ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض والسؤال في القبر وبالشفاعة، ونترحم على جميع الصحابة.." وذكر أشياء.

فتبين لنا أن وضع تلك العبارة كما في المطبوعة وكما في المخطوطات خطأ من النساخ، إلا أنه كان ينبغي للمحقق أن يتحقق من مثل هذا الكلام، فكما أننا نشكر المحققين الذين يخرجون كتب السلف للأمة، كذلك نوصيهم أن يتحروا الدقة في التحقيق.

(١) في المخطوطة و"السير": لزوم الكتاب والسنة.

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٨٠).

(٣) "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص٣٦٩).

الحديث": "ويعتقدون بالنبي ﷺ وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان النَّبِي ﷺ يقول فيهم، ويعتقدون بالسلف الصالح من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بِما كانوا به متمسكين من الدين والحق المبين"[١].

يقول مُحمَّد بن الحسين الآجري -رحمه الله-: "علامة من أراد الله ﷻ به خيرًا: سلوك هذا الطريق؛ كتاب الله ﷻ وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه ﷺ، ومن تبعهم بإحسان -رحمة الله تعالى عليهم- وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان وجوب اتباع مذهب السلف: "وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة[٣] أنه قال: عليك بلزوم السنة، فإنَّها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة إنَّما جعلت ليستَن بِها ويقتصر عليها، وإنَّما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق، فارض لنفسك بِما رضوا به لأنفسهم، فإنَّهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لو كان فيها أحرى، وإنَّهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حَدَثٌ حَدَثَ بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بِما يشفي، فمن

---

(١) "عقيدة أصحاب الحديث" لأبي عثمان الصابوني (ص٩٩).

(٢) "الشريعة" للآجري (ص١٤).

(٣) الإمام العَلَم: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، (ت٢٦٤هـ)، ترجم له الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (١/٢٢٢).

دونَهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونَهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلو، وإنَّهم فيما ذلك لعلى هدى مستقيم"(١).

ويقول -أيضًا- رحمه الله تعالى: "وهكذا، إذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر؛ وجد القرآن والسنة كاشفان لأحوالهم، مبينان لحقهم، مميزان بين حق ذلك وباطله، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود: من كان منكم مستنًّا فليستَن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب مُحمَّد: كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بِهديهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم.

فأخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم، وهذا قليل في المتأخرين".

إلى أن قال: "فدل الكتاب والسنة على أن الله يؤتي أتباع هذا الرسول من فضله ما لَم يؤته لأهل الكتابين قبلهم".

ثم قال: "ومن المعلوم أن أهل الحديث والسنة أخص بالرسول وأتباعه، فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعض السلف: أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل"(٢).

ولأخينا الشيخ الفاضل سليم الهلالي مبحث في "مجلة الأصالة" في هذا الباب، بعنوان: "لماذا المنهج السلفي؟" قد أجاد وأفاد فيه، جزاه الله خيرًا، فمما قال:

"لابد لكل مسلم يروم النجاة المثلى، ويرنو إلى الحياة الفضلى، والفوز في الأولى والأخرى؛ من فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة بفهم خير

---

(١) "الفتاوى" (٤/٧).

(٢) "الفتاوى" (٤/١٣٧-١٤٠).

الناس من الصحابة والتابعين ومن اقتدى بهم بإحسان إلى يوم الدين.

لأنه لن يتصور فكر[1] وفهم ومنهج أصح وأقوم من فهم السلف الصالح ومنهجهم؛ لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها.

وإن استقراء الأدلة كتابًا وسنة وإجماعًا وقياسًا، ليستنبط منه وجوب فهم الكتاب والسنة في ضوء منهاج السلف الصالح؛ لأنه الفهم المجمع على صحته على توالي القرون.

وعليه: لا يجوز لأي فرد مهما علا شأنه أن يفهم غير الفهم السلفي، ومن رغب عنه إلى مبتدعات الخلف المحفوفة بالمخاطر، وغير مأمونة الجانب، وأثرها في تفريق المسلمين معروف لا ينكر، وتشتيت شملهم معلوم لا يجحد؛ هو إنسان أسس بنيانه على شفا جرف هار".

ثم ذكر بعد ذلك الأدلة على هذا الأصل العظيم، فراجعه[2].

فالمقصود مما تقدم: بيان وجوب فهم الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن اتبعهم بإحسان، لما تقدم من النصوص والآثار والأسباب الموجبة لذلك، وأنه لا فلاح ولا صلاح للعباد ولا سبيل لفهم الدين فهمًا صحيحًا إلا على هذا السبيل، وما أسباب الانحرافات الكثيرة في هذا الزمن عند المسلمين وخاصة عند من ينتسب للعلم والدعوة إلى الله إلا بسبب البعد عن فهم هذا الأصل العظيم والعمل بمقتضاه.

---

(١) في استعمال هذه الكلمة نظر، فالفكر هو الرأي، وأهل الآراء المعتمدون على فكرهم مذمومون عند السلف، وأهل الحديث السلفيون أهل قرآن وسنة وفقه فيهما، لا أهل رأي وفكر، فيجب على السلفيين أن لا يتأثروا بالمصطلحات الدارجة المخالفة للشرع الحكيم، ويسعنا ما وسع سلفنا، فنحن قوم نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدي.

(٢) مجلة الأصالة، العدد الأول، (ص١٧).

والأمثلة على ذلك الموضحة له كثيرة، فمن ذلك:

مسألة حفظ الدين من البدع، والرد على المبتدعة: فموقف السلف معروف من ذلك، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ولكن لما ابتعد كثير من الناس عن فهم السلف في هذا الباب، واعتمدوا على آراء الرجال وأفكار المفكرين؛ قضي على هذا الأصل العظيم، حيث رأوا أن المصلحة تقتضي لَم شمل المسلمين، والوقوف صفًا واحدًا ضد أعداء الإسلام، فقالوا: "نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"، وبذلك كثرت البدع، ومجد المبتدعة، ورفع من شأنهم، وجعلوا قوادًا للجيل وزعماء وقدوة لهم. والله المستعان.

ومن ذلك -أيضًا-: مسألة الحاكمية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد سلك كثير ممن يسمون بالمفكرين، وتبعهم أفواج من الشباب في هذا الزمان مسلك الخوارج والمعتزلة في هذا الباب، فكفروا الحكام مطلقًا دون تفصيل في المسألة[1] وأصبح الخروج عندهم من الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يرون المخالفين لهم مداهنين وخونة للدين، فطعنوا في العلماء. وهذا حال الخوارج.

ومن ذلك -أيضًا-: عدم تعظيم منزلة العلم الشرعي، والحرص على طلبه من التفسير، والفقه في الدين، وطلب الحديث، وحفظ المتون، ومجالسة العلماء.

فالسلف الصالح كانوا معظمين لمنزلة العلم الشرعي، وكانوا يرحلون إلى البلدان لطلب العلم، وينتقلون في ذلك من شيخ إلى شيخ، ولكن لما ربط الشباب في هذا الزمان بالمفكرين، وأهل الآراء والتحليلات الواقعية والسياسية، وعزلوا عن

---

(١) راجع في هذه المسألة "لقاء الشيخ العلامة المحدث: مُحمَّد بن ناصر الدين الألباني في جريدة المسلمون" العدد (٥٥٦) بتاريخ ٥ جمادى الأول ١٤١٦هـ. وقد تكلم فيه الشيخ على فتنة التكفير، ورد على جماعات التكفير، وفصل في هذه المسألة تفصيلاً علميًا.

وانظر أيضًا تعليق سماحة الشيخ العلامة: عبد العزيز بن باز على كلام الشيخ الألباني -حفظهما الله تعالى-.

مجالسة العلماء، وعن معرفة سيرة سلفهم الصالح؛ أهل العلم الشرعي، وقَلّ تعظيمه في نفوس الناس، وأخذوا يهتمون بالملهيات والمسليات والأناشيد والمسرحيات لربط الشباب بِهم وبأحزابِهم لا غير. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وغير ذلك كثير من المسائل التي خالف الناس فيها الشرع الحكيم.

نعوذ بالله من الخذلان والانحراف والضلال، وعلى الله التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁❁❁❁❁

الفصل الرابع

في بيان من هم العلماء؟ وبيان فضلهم وكيف حفظ الله بهم الدين؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(١). وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾(٤).

فانظر –حفظك الله– كيف عظم الله مكانة العلماء، حيث ربط شهادتَهم بشهادته وشهادة ملائكته؟ فهذا يدل على عظم فضل العلماء، وانظر قبلها كيف حصر الله تعالى الخشية منه بأهل العلم، وذلك لأنهم بعلمهم عرفوا ربَّهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، مما أدى بهم إلى خشيته ﷻ.

وانظر –أيضًا– كيف فضل الله العلماء، وأن الذين لا يعلمون لا يستوون مع العلماء.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٥).

قال البخاري –رحمه الله تعالى– في كتاب العلم: "باب فضل العلم، وقول الله

(١) فاطر:٢٨

(٢) الزمر:٩

(٣) الأنبياء:٧

(٤) آل عمران:١٨

(٥) النساء:٨٣

تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١]. وقوله ﷻ: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]."[١].

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: عند شرحه لهذه الترجمة: "قوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. واضح الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله تعالى لَم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم. والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنْزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه"[٢].

وقال البخاري -رحمه الله تعالى-: "باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" ثم قال: حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النَّبِي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[٣].

فانظر -بارك الله فيك- إلى هذا الحديث العظيم، كيف جعل الرسول ﷺ الخيرية في أهل الفقه والعلم؟.

ثم انظر كيف وضح الرسول ﷺ أنَّهم حماة الدين وحراسه، والمنابذون عنه إلى قيام الساعة، فالطائفة التي تقوم بالدين هم أهل العلم.

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: "قد جزم بأن المراد بِهم أهل العلم بالآثار، وقال أحمد بن حنبل: إن لَم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم"[٤].

---

(١) "فتح الباري" (١/١٤٠).

(٢) "فتح الباري" (١/١٤١).

(٣) "فتح الباري" (١/١٦٤).

(٤) "فتح الباري" (١/١٦٤) والأثر الوارد عن الإمام أحمد، أخرجه الحاكم في "علوم الحديث" والخطيب البغدادي في "شرف أصحاب الحديث" بطرق متعددة، وقال عنه ابن حجر =

وقال -أيضًا- رحمه الله: "ومفهوم الحديث: أن من لَم يتفقه في الدين، أي: يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع؛ فقد حرم الخير، وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف، وزاد في آخره: «**ومن لَم يتفقه في الدين لَم يبالي الله به**». والمعنى صحيح، لأن من لَم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهًا ولا طالب فقه، فيصح أن يصوف بأنه ما أريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم"[1].

وقال البخاري -رحمه الله-: "باب قول النَّبِي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**». وهم أهل العلم" ثم قال:

"حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، عن النَّبِي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»"[2].

وأخرج أبو القاسم الأصبهاني -رحمه الله- في "الحجة" بسنده إلى أحمد بن سنان أنه قال عن قول النَّبِي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي**». الحديث قال: هم أهل العلم أصحاب الآثار[3].

وقال البخاري -أيضًا-: "باب: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]. وما أمر النَّبِي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم" ثم قال:

"حدثنا عثمان بن منصور، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، يا رب. فتسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من**

-رحمه الله-: أخرجه الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح. الفتح: (١٣/٢٩٣).

(١) "فتح الباري" (١/١٦٥).

(٢) "فتح الباري" (١٣/٢٩٣).

(٣) "الحجة في بيان المحجة" (١/٢٤٦).

نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول: مُحمَّد وأمته. فيجاء بكم فتشهدون». ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]."[١].

قال ابن حجر -رحمه الله-: "والوسط: العدل، كما تقدم في تفسير سورة البقرة، وحاصل ما في الآية: الامتنان بالهداية والعدالة، وأما قوله: "وما أمر" إلى آخره فمطابقته لحديث الباب خفية، وكأنه من جهة الصفة المذكورة وهو العدالة، لما كانت تعم الجميع لظاهر الخطاب أشار إلى أنه من العام الذي أريد به الخاص، أو من العام المخصوص؛ لأن أهل الجهل ليسوا عدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور: أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي"[٢].

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله تعالى-: "حدثنا أبو جعفر، مُحمَّد ابن عمر البختري الرزاز، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الدين عزيزة إلى يوم القيامة»[٣].

وروى -أيضًا- بسنده إلى وهب بن منبه قال: "الفقيه العفيف الزاهد المتمسك بالسنة، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان"[٤].

وروى -أيضًا- بسنده إلى سفيان بن عيينة أنه قال: "أفضل الناس منزلة يوم القيامة من كان بينه وبين خلقه". يعني: الرسول والعلماء[٥].

---

(١) "فتح الباري" (٣١٦/١٣).
(٢) "فتح الباري" (١٣٣/١٦).
(٣) "الإبانة" (٢٠٠/١).
(٤)"الإبانة" (٢٠١/١).
(٥) "الإبانة" (٢٠٢/١).

وروى -أيضًا- بسنده إلى سلمة بن سعيد، قال: كان يقال: "العلماء سرج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه، فيه يستضيء أهل عصره، قال: وكان يقال: العلماء تنسخ مكايد الشيطان"[١].

قال ابن بطة "تعليقًا": "جعلنا الله وإياكم ممن يحيي به الحق والسنن، ويموت به الباطل والبدع، ويستضيء بنور علمه أهل زمانه، ويقوي قلوب المؤمنين من إخوانه"[٢].

فانظروا -حفظكم الله- كيف كان قدر العلماء عند السلف الصالح، ولذلك سعدت واعتزت الأمة.

وأخرج الإمام اللالكائي -رحمه الله- بسنده إلى ابن عباس -رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦]. فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة، وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة"[٣].

وروى -أيضًا- بسنده إلى عطاء في قوله تعالى: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾** [النساء:٥٩]. قال: "أولي الفقه وأولي العلم، وطاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"[٤].

وبسنده -أيضًا- إلى مجاهد قال: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾**. قال: "أهل العلم وأهل الفقه"[٥].

وذكر -أيضًا- ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: **﴿أُولِي الْأَمْرِ**

---

(١) "الإبانة" (٢٠٣/١).
(٢) "الإبانة" (٢٠٣/١).
(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٧١/١).
(٤) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٧٢/١).
(٥) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٧٣/١).

مِنكُمْ﴾. "يعني: أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله، الذين يعلمون الناس معاني دينهم، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، فأوجب الله سبحانه طاعتهم على عباده"(١).

واعلموا -بارك الله فيكم- أن الخير والسعادة مرتبط بوجود أهل العلم، فإذا ذهب أهل العلم كثر الجهل وكثرت الفتن، واتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فضلوا وأضلوا.

قال البخاري -رحمه الله تعالى-: "باب كيف يقبض العلم؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النَّبي ﷺ ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا". ثم قال البخاري: "حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثني مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لَم يبق عالِمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»**"(٢).

وروى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيِّرت قالوا: غيرت السنة". قالوا: متى ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: "إذا كثرت قراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم وقلَّت أبناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة"(٣).

وبسنده -أيضًا- إلى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "عباد الله، تدرون كيف ينقص الإسلام من الناس؟ قالوا: نعم، كما ينقص سمن الدابة، وكما ينقص صبغ

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/٧٣).

(٢) "فتح الباري" (١/١٩٤).

(٣) "المدخل إلى السنن الكبرى" للبيهقي (ص٤٥٣).

الثوب، وكما يقسو الدرهم لطول الجيب. فقال: هذا منه، ولكن أكثر من ذلك ذهاب العلماء، يكون في الحي العالمان، فيموت أحدهما فيذهب بنصف علمهم، ويكون في الحي العالم فيموت فيذهب بعلمهم، وبذهاب العلماء يذهب العلم"[١].

وبسنده -أيضًا- إلى الزهري قال: "كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا، ونفس العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب كله"[٢].

وأخرج يعقوب بن أبي شيبة، من طريق الحارث بن حصيرة، عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: "لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله، حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاءً من العيش يصيبه، ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون".

ومن طريق الشعبي عن مسروق عنه قال: "لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميرًا خيرًا من أمير، ولا عامًا خيرًا من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفًا، ويجيء قوم يفتون برأيهم" وفي لفظ عنه من هذا الوجه: "وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها، ولكن بذهاب العلماء، ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم، فيثلمون الإسلام ويهدمونه"[٣].

وروى الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله تعالى- بسنده إلى الفضيل بن عياض قال: "كيف بك إذا بقيت إلى زمان، شاهدت فيه ناسًا لا يفرقون بين الحق

---

(١) "المدخل إلى السنن الكبرى" للبيهقي (ص٤٥٤).

(٢) "المدخل إلى السنن الكبرى" للبيهقي (ص٤٥٤).

(٣) "فتح الباري" (٢١/١٣).

والباطل، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين الأمين والخائن، ولا بين الجاهل والعالم، ولا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا".

قال ابن بطة -تعليقًا-: "فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإنا قد بلغنا ذلك وسمعناه، وعلمنا أكثره وشاهدناه، ولو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحًا وبصرًا نافذًا فأمعن نظره، وردد فكره، وتأمل أمر الإسلام وأهله، وسلك بأهله الطريق الأقصد، والسبيل الأرشد؛ لتبين له أن الأكثر والأعم والأشهر من الناس قد نكصوا على أعقابِهم، وارتدوا على أدبارهم، فحادوا عن المحجة وانقلبوا عن صحيح الحجة.

ولقد أضحى كثير من الناس يستحسنون ما كانوا يستقبحون، ويستحلون ما كانوا يحرمون، ويعرفون ما كانوا ينكرون.

وما هذه -رحمكم الله- أخلاق المسلمين، ولا أفعال من كانوا على بصيرة في هذا الدين، ولا من أهل الإيمان به واليقين"[1].

قلت: رحمك الله يا أبا عبد الله العكبري، تقول ذلك وشاهدته وأنت في القرن الرابع، فماذا كنت تقول لو أنك في زماننا هذا مع كثرة أهل الأهواء والحزبيات، الذين جعلوا الدين مرتبط بالأشخاص، يوالون ويعادون عليهم، الجاهل عندهم عالم متحرر، والعالم السني عندهم جاهل لا يفقه الواقع؟! فالله المستعان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال ابن قتيبة -رحمه الله تعالى-: "ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بِهما، وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة، وحب الإتباع، واعتقاد الإخوانِ بالمقالات، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضًا، ولو ظهر من يدعي النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، أو من يدعي الربوبية، لوجدنا على ذلك أتباعًا وأشياعًا"[2].

---

(١) "الإبانة" (١/١٨٨).

(٢) "تأويل مختلف الحديث" (ص٤٣).

وقال إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله بن حنبل -رحمه الله تعالى- وأجزل له المثوبة، في مقدمة كتابه: "الرد على الزنادقة والجهمية":

"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينهون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين"(١).

وأما من هم العلماء الربانيون الذين يستحقون هذا اللقب والوصف، ومن ليسوا كذلك؟.

فيخبرنا بذلك أبو القاسم الأصبهاني، حيث يقول: "فصل في بيان الأمور التي يكون بها الرجل إمامًا في الدين، وأن أهل الكلام ليسوا من العلماء.

قال علماء السلف: لا يكون الرجل إمامًا في الدين حتى يكون جامعًا لهذه الخصال:

- يكون حافظًا للغات العرب واختلافها، ومعاني أشعارها.
- حافظًا لاختلاف الفقهاء والعلماء.
- ويكون عالمًا حافظًا للإعراب والاختلاف فيها.
- وعالمًا بكتاب الله -تعالى- وقراءاته، واختلاف القراء فيها.

(١) "الرد على الزنادقة والجهمية" (ص٦).

- عالمًا بتفسيره، ومحكمه، ومتشابِهه، وناسخه، ومنسوخه، وقصصه.

- عالِمًا بأحاديث رسول الله ﷺ مميزًا بين صحيحها وسقيمها، ومتصلها ومنقطعها، ومراسيلها ومسانيدها، ومشاهيرها، وغرائبها، وبأحاديث الصحابة ﷺ.

- ثم يكون ورعًا صاينًا، صدوقًا، يبني مذهبه ودينه على كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ.

فإذا جمع هذه الخلال، فحينئذ يجوز أن يكون إمامًا في المذاهب، وجاز أن يجتهد، وأن يعتمد عليه في دينه وفتاويه.

وإذا لَم يكن جامعًا لهذه الخلال، لَم يجز أن يكون إمامًا في المذاهب وأن يقلده[1] الناس في فتاويه.

قال بعض العلماء عقيب مثل هذا الكلام: وإذا ثبت هذا نظرنا في أمر جماعة ادعوا أنّهم أصحاب مذاهب، واخترعوا مذاهبهم على عقولهم، كالجبائي، وأبي هاشم، والكلبي، والنجار، والنظام، وابن كلاب، ومن نحا نحوهم، وسألنا الخاص والعام عن هؤلاء؟.

فقلنا: أهؤلاء أهل العلم كالصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين -رحمة الله عليهم؟.

قالوا: لا، وليسوا بمعروفين فيهم.

قلنا: أهؤلاء من أهل الأدب والمعرفة بلغات العرب، كأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي، والكسائي، وأمثالهم؟.

قالوا: لا، وغير معروفين فيهم.

قلنا: أهؤلاء من أهل الإعراب والنحو، كالخليل، وسيبويه، والفراء، وأمثالهم؟.

---

(١) والمقصود بالتقليد أي: الموافق للدليل، وذلك أن أئمة السلف كانوا ينهون عن تقليدهم وأن قولهم إن كان معارضًا للدليل فإنه يرد.

قالوا: لا، وغير معروفين فيهم.

قلنا: أهؤلاء من أهل العلم بالقرآن والقراءات، كنافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وحمزة، وأمثالهم؟.

قالوا: لا، وغير معروفين فيهم.

قلنا: أهؤلاء من أهل المعرفة بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابِهه، كمجاهد، وقتادة، وأبي العالية؟.

قالوا: لا، وغير معروفين فيهم.

قلنا: أهؤلاء من أهل العلم والمعرفة بأحاديث النَّبِي ﷺ وأحاديث الصحابة ﷺ كالزهري، ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين؟.

قالوا: لا، وغير معروفين فيهم.

قلنا: هل بنوا مذهبهم على ما بناه عليه هؤلاء من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ؟.

قالوا: لا.

قلنا: فمن أي الناس هم؟.

قالوا: من أهل القول بالعقل.

فمن نظر بعين الإنصاف علم أنه لا يكون أحد أسوأ مذهبًا ممن يدع قول الله، وقول رسول الله ﷺ، وقول الصحابة -رضوان الله عليهم- وقول العلماء والفقهاء بعدهم، ممن يبني مذهبه ودينه على كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ، واتبع من ليس بعالم بكتاب الله -تعالى- وسنة رسول الله ﷺ، وكيف لا يأمن أن يكون متبعًا للشيطان؟! أعاذنا الله من متابعة الشيطان"[1].

---

(١) "الحجة في بيان المحجة" (١/٣٠٦).

وقال أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله-: "أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء"[١].

فالعلماء الربانيون هم كما وصفهم الأصبهاني، وهم باختصار: العالمون بالشريعة الإسلامية، المتبعون للسنة، والذين يدينون لله تعالى بكتابه وسنة نبيه ﷺ، على فهم السلف الصالح.

وأما أهل الكلام فليسوا من العلماء، ومثلهم عندنا في هذا الزمان الذين يلقبون بالمفكرين الإسلاميين، وأهل الآراء، وأهل فقه الواقع والتحليلات السياسية والعقلية، فكيف نأمن على ديننا وعقيدتنا أن نعتمد على مثل هؤلاء، أو أن نربط الشباب والناس بِهم؟.

وبعد: فالمتبصر بتاريخ الأمة الإسلامية منذ بزوغ فجر الإسلام يتضح له كيف أن الله ﷻ حفظ دينه بعد موت نبيه ﷺ بالعلماء علماء أهل السنة، أهل الحديث.

فهم الذين رحلوا من بلد إلى بلد لجمع حديث رسول الله ﷺ، ثم تدوينه في الصحف على مناهج شتى، كالمسانيد، والجاميع، والمصنفات، والسنن، والموطآت، وكتب الزوائد والمعاجم، وحفظوا أحاديث رسول الله ﷺ من وضع الوضاعين وتدليس المدلسين، وميزوا بين صحيحها وسقيمها، فوضعوا القواعد الحديثية التي بِها تتميز الأحاديث المقبولة من المردودة، وميزوا بين الرواة، فألفوا في الثقات وفي الضعفاء وفي الوضاعين، ونقلوا كلام أئمة الجرح والتعديل فيهم، بل ميزوا بين مرويات الراوي الواحد، بين ما رواه عن أهل الشام وما رواه عن أهل العراق وما رواه عن أهل الحجاز، أو ما بين ما رواه قبل الاختلاط وبين ما رواه بعد الاختلاط، إن كان قد طرأ على الراوي الاختلاط، وهكذا.

---

(١) "الدرر السنية" (٥١/١).

وإن المتبصر بهذا العلم وفنونه وأقسامه وأنواعه وما ألف فيه؛ لينبهر أشد الانبهار من مدى خدمة أولئك القوم لحديث نبيهم ﷺ.

وهم الذين قاموا -أيضًا- بتوضيح عقيدة أهل السنة والجماعة بجميع أبوابها، والرد على أهل البدع والانحراف، وحذروا من أهل الأهواء والبدع، ونَهوا عن مجالستهم ومحادثتهم، ولا يردون عليهم السلام، بل ولا يرون مناكحتهم، زجرًا وردعًا لهم ولأمثالهم، وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة، وسيأتي ذكر بعض منها في الفصل التاسع.

وهم الذين قاموا بجمع الأحاديث والآثار في تفسير القرآن العظيم، كتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الصنعاني، وتفسير النسائي، ومنهم من قام بتفسير القرآن العظيم كاملاً كتفسير الطبراني، وتفسير ابن كثير، وغير ذلك، ووضعوا القواعد والأصول لتفسير القرآن الكريم، وميزوا بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

وهم الذين ألفوا في الفقه، فكتبوا في جميع أبوابه، وبحثوا في مسائله، وبينوا الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ووضعوا القواعد الفقهية التي تجمع فرعيات وجزئيات كثيرة تجمعها علة واحدة، ووضعوا أصول الفقه، وهي القواعد التي يتوصل بِها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية، وألفوا في هذه الفنون المؤلفات الكثيرة.

وهم الذين ألفوا في السيرة والتاريخ، والأدب والزهد والرقائق، واللغة والنحو، وغير ذلك من الفنون الكثيرة.

فالعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لَم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورثوا العلم، وقد أخذ منه علماء أهل السنة بالحظ الوافر، فجمعوا العلم، وبينوا للناس دينهم، ودافعوا عن السنة واعتقاد الأمة، وذلك مثل: أحمد بن حنبل، والدارمي، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وعلي بن المديني، ويحيى بن سعيد القطان، والشافعي، وعبد الله بن المبارك،

وعبدالرحمن بن مهدي، وابن خزيمة، والدارقطني، وابن قدامة المقدسي، وابن عبدالبر، والخطيب البغدادي، وغيرهم كثير.

وكذلك من سار على مسلك هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه: كابن قيم، والذهبي، وابن عبد الهادي، الذين ألفوا المؤلفات الكثيرة القيمة، التي تدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وتوضح الدين الصحيح بالأدلة الصريحة، والبراهين المقنعة، والتي لا يزال طلاب العلم يتفقهون منها ويستدلون بِها، بل حتى في الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية قررت هذه المؤلفات مناهج دراسية لطلابِها.

وكذلك من سار على نَهج هؤلاء كمجدد دعوة التوحيد شيخ الإسلام مُحمَّد ابن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وأبنائه وتلاميذه من علماء نجد، ومن حذا حذوهم من علماء العالم الإسلامي كالشوكاني، والصنعاني، وعلماء الهند، ومصر: كمحب الدين الخطيب، وأحمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، وعلماء السودان، وعلماء المغرب العربي، وعلماء الشام، حيث قاموا بنشر الحديث والعقيدة السلفية في بلدانِهم ونافحوا عنها.

ولا يزالون -والحمد لله- قائمين على هذا المسلك، وهذا مصداق ما أخبر به الرسول ﷺ حيث يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[١]. وفي رواية: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الدين، عزيزة إلى يوم القيامة**»[٢].

ومن علمائنا في هذا العصر -على سبيل المثال لا الحصر-:

الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مفتي الديار السعودية.

والشيخ المحدث: مُحمَّد ناصر الدين الألباني.

---

(١) "فتح الباري" (١٣/٢٩٣).

(٢) "الإبانة" (١/٢٠٠).

والشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

والشيخ: صالح الأطرم، وكبار القضاة.

والشيخ: مُحمَّد بن صالح العثيمين.

والشيخ: صالح الفوزان.

والشيخ: عبد الله الغديان.

والشيخ: صالح اللحيدان.

والشيخ: عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-.

والشيخ: حمود التويجري -رحمه الله-.

والشيخ: عبد المحسن العباد.

والشيخ: حماد الأنصاري -رحمه الله-.

والشيخ: ربيع بن هادي المدخلي.

والشيخ: مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله-.

والشيخ: أحمد يحيى النجمي.

والشيخ: زيد مُحمَّد هادي المدخلي.

والشيخ: صالح السحيمي.

والشيخ: صالح العبود، وغير هؤلاء من علماء العالم الإسلامي.

نسأل الله الحي القيوم أن يحفظ الأحياء منهم ويرحم الموتى، وأن يوفقنا على أن نسلك مسلكهم، وأن يحشرنا وإياهم مع نبينا وأسوتنا مُحمَّد ﷺ في الفردوس الأعلى.

الفصل الخامس

في بيان أن من علامات أهل البدع والأهواء الطعن في علماء أهل السنة وتمجيد المبتدعة

لقد رفع الله ﷻ منْزلة العلماء حملة الوحي -كما وضحنا ذلك في الفصل السابق- فاحترام العلماء وتبجيلهم، وإعطاؤهم منْزلتهم الرفيعة التي أنزلهم الله تعالى إياها؛ أمر واجب متحتم، بل هو من الإيمان وتعظيم دين الله، وذلك لأنَّهم حملة الدين وحماته، ومصابيح الدجى، يميزون للناس بين الحق والباطل، ويذكرونَهم بحق الله عليهم، فهم ورثة الأنبياء، والسائرون على منهاجهم، فكيف لا تكون لهم منْزلة ولا محبة في القلوب ولا تبجيل؟!.

بل إن خلاف ذلك هو مسلك من حاد الله ورسوله، وسلك مسلك المنافقين واليهود والنصارى قتلة الأنبياء، ومسلك أهل الأهواء والبدع، أهل الكلام والآراء المزخرفة، أعداء الكتاب والسنة.

يقول الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في بيان علامات أهل البدع: "وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتِهم وعلاماتِهم: شدة معاداتِهم لحملة أخبار النَّبي ﷺ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بِهم، وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة، اعتقادًا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنّها بمعزل عن العلم، وأنَّ العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتُهم وحججهم العاطلة، بل شبههم الداحضة الباطلة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [مُحمَّد:٢٣] ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨]".

ثم ذكر بسنده إلى أحمد بن سنان القطان قال: "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه".

ثم ذكر بسنده -أيضًا- إلى مُحمَّد بن إسماعيل الترمذي قال: "كنت أنا وأحمد ابن الحسن والترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل، وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق، زنديق. حتى دخل البيت".

وبسنده -أيضًا- إلى أبي نصر بن سلام الفقيه قال: "ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث، وروايته بإسناده".

وقال -أيضًا-: "سمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق ابن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلاً، فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان. فقال له الرجل: دعنا من حدثنا، إلى متى حدثنا؟ فقال الشيخ له: قم يا كافر، فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبدًا. ثم التفت إلينا وقال: ما قلت قط لأحد ما تدخل داري إلا هذا".

وبإسناده إلى أبي حاتم مُحمَّد بن إدريس الحنظلي الرازي قال: "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة".

قال أبو عثمان الصابوني -تعليقًا-: "وكل ذلك لا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أهل الحديث".

ثم قال: "رأيت أهل البدع في هذه التي لقبوا بها أهل السنة -ولا يلحقهم شيء منها فضلاً من الله ومنه- سلكوا معهم مسلك المشركين -لعنهم الله- مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحرًا، وبعضهم كاهنًا،

وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا، وبعضهم مفتريًا مختلقًا كذابًا، وكان النَّبي ﷺ من تلك المعائب بعيدًا بريئًا، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبيًّا، قال الله ﷻ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:٩].

وكذلك المبتدعة -خذلهم الله- اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه، المقتدين به، المهتدين بسنته، المعروفين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب، بريئة زكية نقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية، والسيرة المرضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية، قد وفقهم ﷻ لاتباع كتابه ووحيه وخطابه، واتباع أقرب أوليائه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته، والاهتداء بملازمة سنته، وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه، وأكرمهم وأعزهم عليه، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته، ومن أحب قومًا فهو معهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»"[1].

قلت: وقد سلك في هذا الزمان أهل الأهواء والتحزبات والفرقة مع علماء أهل السنة السلفيين، مسلك الأولين من أهل الأهواء والبدع، فقد تقاسموا القول فيهم، فبعضهم يصفهم بأنهم مداهنون متزلفون، وبعضهم بأنهم مرجفون مفرقون، وبعضهم بأنهم لا يفقهون الواقع، وبعضهم بأنهم علماء سلطة، وبعضهم بأنهم عبيد الأسياد، وبعضهم بأنهم حساد، وبعضهم بأن فتاويهم تصدر خوفًا من السلطة وطمعًا بما عندها، وغير ذلك من الألقاب والأوصاف السيئة.

ولكن -والحمد لله- كما كان النَّبي ﷺ بريئًا من تلك المعايب التي يعيبه بها

(١) "عقيدة أصحاب الحديث" (ص١٠١).

المشركون، وكما كان السلف الصالح أهل الحديث بريئين من تلك الأوصاف التي يصفهم بها أهل الأهواء والزنادقة، فكذلك علماؤنا اليوم بريئون من تلك الأوصاف التي يصفهم بها أهل الأهواء والحزبيات، فهم -والحمد لله- أهل القرآن والأثر، وحملة حديث مُحمَّد ﷺ، والمدافعون عن سنته، والمبلغون لها، أهل العلم والفتاوى الشرعية، المبنية على الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهم حفظة الدين، وأهل التقوى والورع إن شاء الله تعالى، وإذا ظهر الرجل برأي مخالف أو ببدعة وجهوا له سهامهم، وفضحوا أمره، وردوا عليه شبهه.

فهم -والحمد لله- ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فحبهم والله دين وإيْمان، وبغضهم هوى ونفاق واتباع لزخاريف الشيطان، نعوذ بالله من سوء المنقلب والخذلان.

قال أبو عثمان الصابوني مبينًا علامات أهل السنة: "وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها، وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، والذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابَهم على دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه ﷻ".

ثم ذكر بسنده إلى أحمد بن سلمة قال: قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: "فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك ابن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص، وشريكًا، ووكيعًا، ويحيى ابن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة".

قال أحمد بن سلمة: "وألحقت بخطي تحته: ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. فلما انتهينا إلى هذا الموضع نظر إلينا أهل نيسابور، وقال: هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى. فقلنا: يا أبا رجاء، ما يحيى بن يحيى؟ قال: رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل عندي أكبر من سميته كلهم".

قال أبو عثمان الصابوني: "وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة -رحمه الله-: أن من أحبهم فهو صاحب سنة، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين، منهم: مُحمَّد بن إدريس الشافعي، وسعيد بن جبير، والزهري، والشعبي، إلى آخر ما ذكر من علماء أهل السنة"[1].

قلت: وأنا أقول -أيضًا-:

أن من أحب علماءنا في هذا الزمان- أهل الحديث والسنة؛ السالكين مسلك السلف الصالح- ورفع منْزلتهم، وحث على مجالستهم، والالتفاف حولهم؛ فهو صاحب سنة.

ومن حذر منهم، وأبغضهم، ووصفهم بأوصاف منفرة؛ فهو صاحب بدعة؛ لأن الطعن بهم طعن بالدين والسنة، والتحذير منهم تحذير من الدين والسنة.

قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري -بعد ذكره بعض الآثار السابقة-: "وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا؛ كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية"[2].

وقد سلك مسلك الطعن بأهل العلم والصلاح: الخوارج؛ فقد طعنوا بالصحابة -رضوان الله عليهم- وكفروهم.

وفي المقابل يمدحون من اتفق السلف على ذمهم:

فهذا عمران بن حطان الخارجي يمدح عبد الرحمن بن ملجم؛ قاتل علي ﷺ فيقول:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يومًا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

---

(١) "عقيدة أصحاب الحديث" (ص١٠٨).

(٢) "معرفة علوم الحديث" (ص٤).

قال الشاطبي: "وروي عن إسماعيل بن علية قال: حدثني اليسع، قال: تكلم واصل بن عطاء يومًا -يعني: المعتزلي-، فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟! ما كلام الحسن وابن سيرين -عندما تسمعون- إلا خرقة حيض ملقاة".

وقال الشاطبي -أيضًا-: "روي أن زعيمًا من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة، جملته لا يخرج من سراويل امرأة".

قال الشاطبي -تعليقًا-: "هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله"[1].

قلت: وما أشبه هذا الكلام بكلام الذين يلمزون العلماء اليوم، ويهونون من أمر العلم الشرعي والفقه والحديث، فيقولون: إن هؤلاء علماء حيض ونفاس.

قاتلهم الله، ما أقبح ما يقولون.

نسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا.

أو أولئك الذين يريدون تفضيل الفكرين والسياسيين وأهل الرأي والتحليلات العقلية على علماء الكتاب والسنة، فيقولون: إن العلماء اليوم لا يفقون الواقع[2].

---

(١) "الاعتصام" للشاطبي (ص٤٣٣).

قلت: يعني -والله أعلم-: أن علمهم لا يتجاوز علم الحيض والنفاس.

(٢) ومن هؤلاء المدعو طارق السويدان، الذي أعطاه الحركيون هالة إعلامية. حيث يقول في لقاء له في إحدى القنوات الفضائية: "وهناك علماء لا يفقهون الواقع، وتركوا الواقع، وانكبوا على كتب الحيض والنفاس" ونسي هذا الجاهل وأمثاله أن الله تعالى أنزل فيه كلامًا يتلى إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**. ورتب الله تعالى أحكامًا كثيرة على الحيض، ولهذا يقول إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: "جلست في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته".

ولقد اختفى فقههم الواقعي المزعوم عندما اجتمعت الأحزاب البدعية في أفغانستان على أهل التوحيد، أصحاب دعوة العقيدة السلفية والمناهج المدرسية السلفية.

ولكن في حقيقة الأمر إن فقه الواقع هذا المزعوم يراد من ورائه استنقاص علماء الشريعة، ورفع دعاة الرأي والكلام والأهواء والفرقة، وهذا هو حال أهل الأهواء مع علماء السنة منذ بزوغ فجر الإسلام إلى أن تقوم الساعة.

❁❁❁❁❁

الفصل السادس

في بيان موقف أهل السنة من السلطان المسلم وذكر وصف الخوارج

لما كان أمر الناس لا يستقيم إلا بإمام، فقد شرع الله -تعالى- للمسلمين أن يكون لهم إمام، يحفظ الله به دين المسلمين وأعراضهم وأموالهم وجماعتهم.

ولما كان هذا الأمر لا يتحقق إلا بسمع وطاعة لهذا الإمام، فقد أوجب الله سبحانه -أيضًا- في كتابه على لسان رسوله ﷺ طاعة ولاة الأمر، والسمع والطاعة لهم في غير معصية الله، برًا كان الإمام أو فاجرًا، وأوجب الجهاد معهم، والصلاة خلفهم جائزة، وحرم الخروج عليهم إلا أن يظهر منهم كفر بواح عندنا فيه من الله برهان.

وبترك ذلك يحصل من الفساد للعباد والبلاد ما الله به عليم.

ولذلك يقال: "ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان"[١].

يقول الماوردي -رحمه الله تعالى-: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بِها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم"[٢].

يقول الأفوه الأودي الشاعر الجاهلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا[٣]

---

(١) "نصيحة مهمة في ثلاث قضايا" (ص٤٤).

(٢) "الأحكام السلطانية" للماوردي (ص٥).

(٣) "الأحكام السلطانية" للماوردي (ص٥).

ولهذا وذاك كان اعتقاد أهل السنة والجماعة: السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرنا، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان.

يقول أبو عثمان إسماعيل الصابوني -رحمه الله تعالى-: "ويرى أصحاب الحديث: الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العادل"[١].

ويقول الإمام البربَهاري -رحمه الله تعالى-: "والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه إمامًا برًّا كان أو فاجرًا، والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة"[٢].

ويقول -أيضًا-: "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان والخروج عليهم وإن جاروا، وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري: «**اصبر وإن كان عبدًا حبشيًّا**». وقوله للأنصار: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**». وليس في السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدين والدنيا"[٣].

ويقول -أيضًا-: "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب

---

(١) "عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص٩٢).

(٢) "شرح السنة" للبربهاري (ص٧٧).

(٣) "شرح السنة" للبربهاري (ص٧٨).

هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله. يقول فضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان.

وقال: أخبرنا أحمد بن كامل، قال: حدثنا الحسين بن مُحمَّد الطبري، نا مردوية الصائغ، قال: سمعت فضيلاً يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان. قيل له: يا أبا علي، فسر لنا هذا. قال: إذا جعلتها في نفسي لَم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولَم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم على أنفسهم والمسلمين"[1].

ويقول مُحمَّد بن الحسين الآجري -رحمه الله-، محذرًا من الخوارج، وهم الذين يخرجون على ولاة الأمور ويقاتلونَهم: "باب ذم الخوارج وسوء مذاهبهم وإباحة قتالهم، وثواب من قتلهم أو قتلوه: قال مُحمَّد بن الحسين: لَم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم؛ لأنَّهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله ﷻ منهم، وحذرنا النَّبي ﷺ وحذرنا الخلفاء الراشدين بعده، وحذرنا الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان -رحمة الله تعالى عليهم-.

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين.

وأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ وهو رجل طعن على النَّبي ﷺ وهو يقسم الغنائم بالجعِرَّانة، فقال: اعدل يا مُحمَّد، فما أراك تعدل. فقال ﷺ

---

(١) "شرح السنة" للبربهاري (ص١١٦).

«ويلك! فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟». فأراد عمر ﷺ قتله، فمنعه النَّبي ﷺ من قتله، وأخبر -عليه الصلاة والسلام-: **«أن هذا وأصحابًا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاتِهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**. وأمر -عليه الصلاة والسلام- في غير حديث بقتالهم، وبين فضل من قتلهم أو قتلوه.

ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قتلوا عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ ممن كان في المدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا ذلك.

ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ولَم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم وقالوا: "لا حكم إلا لله" فقال علي ﷺ: "كلمة حق أرادوا بِها الباطل"، فقاتلهم علي ﷺ، فأكرمه الله ﷻ بقتلهم، وأخبر عن النَّبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة"[١].

ويقول -أيضًا- محذرًا من عدم الاغترار بعبادة، وصلاة، واجتهاد من خرج على ولاة أمور المسلمين، وإن كان قصده حسنًا، وإن كان يرى أمورًا منكرة، فيقول -رحمه الله-: "فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي، قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام أو جائرًا، فخرج وجمع جماعة، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج"[٢].

ويقول -أيضًا-: "قد ذكرت من التحذير عن مذهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله ﷻ الكريم عن مذهب الخوارج، ولَم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة،

---

(١) "الشريعة" للآجري (ص٢١).

(٢) "الشريعة" للآجري (ص٢٨).

وحيف الأمراء، ولَم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله العظيم كشف الظلم عنه، وعن جميع المسلمين، وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعتهم فأمكنته طاعتهم أطاعهم، وإن لَم تمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لَم يطعهم، وإن دارت بينهم الفتن لزم بيته، وكف لسانه ويده، ولَم يهو ما هم فيه، ولَم يُعِن على فتنة. فمن كان هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله تعالى"[١].

ثم قال: "باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة" ثم ذكر الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب[٢].

ويقول الإمام أبو جعفر الطحاوي: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننْزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لَم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[٣].

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي، شارح الطحاوية -معلقًا على ذلك الكلام-: "فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لَم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]. كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. ولَم يقل: "وأطيعوا أولي الأمر منكم"؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة الله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل معصوم من ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة الله ورسوله.

---

(١) "الشريعة" للآجري (ص٣٧).
(٢) "الشريعة" للآجري (ص٣٨).
(٣) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص٤٢٨).

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم"[١].

فهذه الأقوال عن أئمة السلف وغيرها كثير؛ توضح موقف السلف الصالح من الأئمة -الحكام-، متبعين في ذلك كلام ربِّهم ﷻ وكلام نبيهم مُحمَّد ﷺ، وهي نصوص كثيرة مبثوثة في بطون كتب السنة، وسنذكر بعضًا منها إن شاء الله تعالى، ليكون المسلم على بينة من أمر دينه، وليعلم أن النَّبي ﷺ ما ترك أمرًا فيه خير لنا في ديننا إلا بينه، وليعلم المسلمين -أيضًا- أن سبب انحراف كثير ممن ينتسب للدعوة إلى الله ويعمل على تربية الشباب، وكذلك كثير من أهل الكلام والمفكرين في هذا الباب -باب معاملة الحكام- إنَّما هو بسبب البعد عن فهم الدين الفهم الصحيح، المبني على الكتاب والسنة، والبعد عن معرفة آثار السلف وسيرتهم[٢].

---

(١) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص٤٢٩).

(٢) وقد كتب أخونا الشيخ: عبد السلام بن برجس العبد الكريم رسالة في هذا الباب بعنوان: "معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة" ذكر فيها نصوصًا كثيرة، وقواعد مهمة، ونقولات مقنعة من علماء الأمة السابقين والمعاصرين، فهي رسالة صغيرة الحجم عظيمة النفع.

=

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: "باب قول النَّبِي ﷺ: **«سترون بعدي أمورًا تنكرونها»**. وقال عبد الله بن زيد، قال النَّبِي ﷺ: **«اصبروا حتى تلقوني على الحوض»**. ثم ذكره بسنده إلى زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: **«إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها»**. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **«أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم»**.

وبسنده -أيضًا- إلى ابن عباس عن النَّبِي ﷺ قال: **«من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية»**.

وروى بسنده -أيضًا- إلى جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلت: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النَّبِي ﷺ. قال دعانا النَّبِي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: "أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان"[١].

وقال -أيضًا رحمه الله-: "باب لا يأتي زمان إلا الذين بعده أشر منه، ثم روى بسنده إلى الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج[٢] فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ"[٣].

وقال -أيضًا- رحمه الله تعالى: "باب السمع والطاعة للإمام، ما لَم تكن

وأعقبه بكتاب آخر عظيم بعنوان: "الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والتحذير من مفارقتهم" فراجعهما.

(١) "فتح الباري" (٥/١٣).

(٢) أي: الحجاج بن يوسف الثقفي، ومعلوم مدى ظلمه وتعذيبه لبعض الصحابة والعلماء.

(٣) "فتح الباري" (١٩/١٣).

معصية، ثم روى بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة**».

وبسنده إلى نافع عن عبد الله ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لَم يؤمر بِمعصية، فإذا أمر بِمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[(١)].

وروى مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»[(٢)].

وبسنده إلى أبي ذر قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا مجدع الأطراف"[(٣)].

وروى ابن أبي عاصم بسنده إلى أبي بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله**»[(٤)].

وبسنده -أيضًا- إلى عبادة بن الصامت، عن النَّبي ﷺ قال: «**اسمع وأطع، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك**»[(٥)].

وبسنده إلى العرباض بن سارية، أنه حدثه أن رسول الله ﷺ وعظهم يومًا موعظة بليغة بعد صلاة الغداة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة**»[(٦)].

---

(١) "فتح الباري" (١٣/١٢١).

(٢) "صحيح مسلم بشرح النووي" (١٢/٢٢٣).

(٣) "صحيح مسلم بشرح النووي" (١٢/٢٢٥).

(٤) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٤٧٨) وفيه "فمن أكرمه أكرم الله" وهو غلط مطبعي. انظر: "السلسلة الصحيحة" (٥/٣٧٦).

(٥) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٤٧٨).

(٦) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٤٨٢).

وبسنده إلى ابن عمر قال: جاء رجل إلى النَّبِي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «**اعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت، واعتمر، واسمع وأطع، وعليك بالعلانية، وإياك والسر**»[١].

وبسنده إلى عوف بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**». قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة**»[٢].

وبسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون أمراء تلين لهم الجلود، ولا تطمئن إليهم القلوب، ثم يكون أمراء تشمئز منهم القلوب، وتقشعر منهم الجلود**». فقال رجل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»[٣].

وبسنده إلى زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[٤].

وبسنده إلى تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين أو المؤمنين، وعامتهم**»[٥].

وبسنده إلى عياض بن غنم، أنه قال لهشام بن حكيم: ألَم تسمع بقول رسول الله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به،**

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٤٩٥).

(٢) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٤٩٥).

(٣) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٤٩٨).

(٤) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٥٠٤).

(٥) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٥٠٤).

فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه»[1].

وبعد: فوصيتي لشباب الإسلام: أن يتقوا الله تعالى، وليفهموا دينهم وفق القرآن والسنة، كما فهمه الأولون لاسيما هذا الباب.

ونحن لسنا أغير على محارم الله، ولا أشد غضبًا عليها إذا انتهكت من نبينا مُحمَّد ﷺ، ولا من الصحابة -رضوان الله عليهم- ولا من أئمة الإسلام -رحمة الله عليهم- ومع ذلك فهذه أقوالهم، وهذه آثارهم، وهذه سيرتهم.

فالحكمة الحكمة يا شباب الإسلام.. والسبيل السبيل.

❁❁❁❁❁

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٥٠٧).

الفصل السابع

في بيان افتراق الأمة وأسباب ذلك

إن ما تقدم في الفصول السابقة هو قواعد النجاة من الضياع والهلاك والانحراف.

وذلك: أنه من تجرد لله ﷻ، واتقى الله رب العالمين، وصدق معه، ولَم يتبع هواه، واعتمد في أخذ الدين من الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، واستعان بعد الله بفهم واستنباط العلماء -علماء أهل السنة- فإنه بإذن الله تعالى سيكون على الصراط المستقيم، بعيدًا عن سبل الشيطان.

إلا أن الأهواء والبدع كانت وما تزال تتجارى بأهلها كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، وتركوا الكتاب والسنة، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، واشتغلوا بعلوم اليونان والفلاسفة والمناطقة، وأهل الكلام والرأي، واعتمدوا على عقولهم وآرائهم في فهم الدين، واتبعوا المتشابه من النصوص، وأخذوا يؤصلون ويعتقدون، ثم يؤولون النصوص ويستدلون به على ما أصلوا واعتقدوا.

وبهذا وذاك افترقت الأمة الإسلامية، وأصابَها ما أصاب الأمم قبلها، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا ما أخبرنا به نبينا مُحمَّد ﷺ.

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: "باب قول النَّبِي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**». ثم أورد بسنده إلى أبي هريرة ﷺ عن النَّبِي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ امتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**». فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولئك؟!**»[1].

وأخرجه -أيضًا- من طريق أبي سعيد الخدري ﷺ عن النَّبِي ﷺ: «**لتتبعن**

---

(١) "فتح الباري" (١٣/٣٠٠).

سنن من كان قبلكم، شبرًا شبرًا، وذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم».
قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟!**»[١].

قال ابن بطال: "أعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء، كما وقع للأمم قبلهم"[٢].

قال ابن أبي عاصم: "باب فيما أخبر به النَّبِي ﷺ أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، وذمه الفرق كلها إلا واحدة، وذكر قوله ﷺ: «**أن قومًا سيركبون سنن من كان قبلهم**»[٣]. ثم أورد بسنده إلى عوف بن مالك الأشجعي قال: قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين، واحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعين في النار**». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**هم الجماعة**»[٤].

وأخرج ابن أبي عاصم -أيضًا- بسنده إلى أبي عامر الهوزني قال: سمعت معاوية يقول: "يا معشر العرب، والله لئن لَم تقوموا بِما جاء به نبيكم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به، إن رسول الله ﷺ قام فينا يومًا، فذكر أن أهل الكتاب قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء"[٥].

قال ابن بطة -رحمه الله تعالى- بعد ذكره هذه الأحاديث السابقة، في كتابه "الإبانة": "وإنَّما ذكرت هذه الأحاديث في هذا الموضع من هذا الكتاب ليعلم

---

(١) "فتح الباري" (١٣/٣٠٠).
(٢) "فتح الباري" (١٣/٣٠١).
(٣) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٣٢).
(٤) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٣٥).
(٥) "السنة" لابن أبي عاصم (ص٣٥).

العقلاء من المؤمنين، وذووا الآراء من المميزين، أن أخبار الرسول ﷺ قد صحت في أهل زماننا، فليستدلوا بصحتها إلى وحشة ما عليه أهل عصرنا، فيستعملوا الحذر من موافقتهم ومتابعتهم، ويلزموا اللجاء والافتقار إلى الله ﷻ في الاعتصام بحبله والتمسك بدينه، والمجانبة والمباعدة ممن حاد الله في أمره، وشرد شرود الناد المغتلم"[١].

وقال -أيضًا رحمه الله-: "باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأمة؟ وإخبار النّبي ﷺ لنا بذلك".

ثم قال: "قد ذكرت في أول هذا الكتاب ما قصه الله ﷻ علينا في كتابه من اختلاف الأمم، وتفرق أهل الكتاب، وتحذيره إيانا من ذلك، وأنا أذكر الآن ما جاءت به السنة، وما أعلمنا نبينا ﷺ من كون ذلك، ليكون العاقل على حذر من مسامحة هواه، ومتابعة بعض الفرق المذمومة، وكي يتمسك بشريعة الفرقة الناجية، فيعض عليها بنواجذه، ويضمها بجنبيه، ويلزم المواظبة على الالتجاء والافتقار إلى مولاه الكريم في توفيقه وتسديده ومعونته وكفايته، فإنا قد أصبحنا في زمان قل من يسلم له فيه دينه، والنجاة فيه متعذرة مستصعبة، إلا من عصمه الله وأحياه بالعلم".

ثم أورد بسنده إلى أبي أمامة، عن النّبي ﷺ قال: «**ستكون فتن، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، إلا من أحياه الله بالعلم**».

ثم قال: "جعلنا وإياكم ممن أحيانا الله بالعلم، ووفقه بالحلم، وسلمنا وإياكم من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن"[٢].

---

(١) "الإبانة" (١/١٦٩).

(٢) "الإبانة" (١/٣٦٦، ٣٦٧).

وأسباب الافتراق والاختلاف كثيرة:

منها:

اتباع الهوى:

قال الشاطبي -رحمه الله-: "وقد ثبت بهذا وجه اتباع الهوى، وهو أصل الزيغ عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ** [أي: ميل عن الحق] **فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران:٧]"[١].

وقال -أيضًا-: "قال بعض العلماء: صاروا فرقًا لاتباع أهوائهم، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا، وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا**﴾ [الأنعام:١٥٩]. ثم برأه الله منهم بقوله: ﴿**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾. وهم: أصحاب البدع، وأصحاب الضلالات والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله"[٢].

ومن أسباب الافتراق والاختلاف أيضًا:

الجهل: بمعاني ودلائل الكتاب والسنة، وآثار الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من علماء وجهابذة الأمة، وعدم معرفة القواعد الفقهية والقواعد الأصولية، كالعام والخاص والمطلق، والناسخ والمنسوخ، والمنطوق والمفهوم، وأسباب النُّزول، وغير ذلك.

قال الشاطبي -رحمه الله-: "هذه الأسباب الثلاثة [أي: أسباب الخلاف] راجعة في التحصيل إلى وجه واحد، وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم.

---

(١) "الاعتصام" (ص٤٠١).

(٢) "الاعتصام" (ص٤٢٨).

ألا ترى إلى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؟ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يعني: -والله أعلم-: أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم؛ لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لَم يصل إلى القلب لَم يصل فيه فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم.

وما تقدم -أيضًا- من قوله ﷺ: «**أن الله لا يقبض العلم انتزاعًا**»"[1]. الحديث.

وقال -أيضًا-: "وقد مر أن أصل حدوث الفرق إنما هو الجهل بمواقع السنة، وهو الذي نبه عليه بقوله: «**اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً**»"[2].

قلت: هذا الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه"، في "كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم؟" فرواه بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لَم يبق عالِمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا؛ فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[3].

فحذر رسول الله ﷺ من ترئيس الجهلة، وأخبر أن الجهل في الدين سبب الضلال، وبالتالي حصول الافتراق.

ومن أسباب الافتراق والاختلاف -أيضًا-:

اتباع المتشابه من النصوص:

قال الشاطبي -رحمه الله-: "ومما يوضح ذلك: ما خرجه ابن وهب، عن بكير، أنه سأل نافعًا: كيف رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم

(١) "الاعتصام" (ص٤٠٣).
(٢) "الاعتصام" (ص٤٠٣).
(٣) "فتح الباري" (١/١٩٤).

انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[1]. فسر سعيد بن جبير من ذلك، فقال: مما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. ويقرنون معها: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]. فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه، ومن عدل بربه فقد أشرك، فهؤلاء مشركون خرجوا على الأمة، يقتلون من يرونه مخالفًا لهم؛ لأنهم يتأولون هذه الآية[2].

فهذا معنى الرأي الذي نبه عليه ابن عباس، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن"[3].

وقال ابن بطة العكبري مبينًا بعض أسباب الافتراق وأسباب الاجتماع على السنة: "فهذا يا أخي -رحمك الله- ما ذكره هذا العالم من أسماء أهل الأهواء، وافتراق مذاهبهم، وعداد فرقتهم، وإنما ذكر ذلك ما بلغه ووسعه، وانتهى إليه علمه، لا من طريق الاستقصاء والاستيفاء، وذلك لأن الإحاطة بهم لا يقدر عليها، والتقصي للعلم بهم لا يدرك، **وذلك أن كل من خالف الجادة، وعدل عن المحجة، واعتمد من دينه على ما يستحسنه فيراه، ومن مذهبه على ما يختاره ويهواه عدم الاتفاق والائتلاف**، وكثر عليه أهلها لمباينة الاختلاف، لأن الذي خالف بين الناس في مناظرهم وهيئاتهم، وأجسامهم وألوانهم، ولغاتهم وأصواتهم، وحظوظهم، كذلك خالف بينهم في عقولهم وآرائهم، وأهوائهم وإراداتهم، واختياراتهم، وشهواتهم، فإنك لا تكاد ترى رجلين متفقين اجتمعا جميعًا في الاختيار والإرادة حتى يختار أحدهما ما يختار الآخر، ويرذل ما يرذله؛ **إلا من كان على طريق الاتباع، واقتفى الأثر، والانقياد**

(١) هذا الأثر أخرجه البخاري معلقًا، وقال عنه ابن حجر: سنده صحيح، ووصله الطبري في مسند علي. "الفتح" (٢٨٢/١٢).

(٢) هذا الأثر أخرجه الآجري في "الشريعة".

(٣) "الاعتصام" للشاطبي (ص٧٠٧).

للأحكام الشرعية، والطاعة الديانية، فإن أولئك من عين واحدة شربوا، فعليها يردون، وعنها يصدرون، قد وافق الخلف الغابر للسلف الصادر"[1].

وقد ظهرت فرق كثيرة، أصولها أربعة: القدرية، والمرجئة، والروافض، والخوارج، كما قال كثير من علماء السلف.

وقد تشعبت هذه الأربعة إلى فرق كثيرة، وقد خرجت هذه الفرق من أهل السنة والجماعة ببدع كثيرة: كتكفير صاحب الكبيرة، وتخليده في النار، وتكفير الصحابة، وإنكار أسماء الله وصفاته، وتأويلها، وإنكار رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة، والقول بخلق القرآن، وقولهم أن الإيْمان بجرد التصديق أو المعرفة أو التلفظ باللسان، أو أن العمل غير داخل في مسمى الإيْمان، والتكلم في القدر، والخروج على الحاكم على أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من البدع.

وفي زماننا هذا ظهرت جماعات وأحزاب، تنتسب إلى السنة والدعوة إلى الله، كـ "الإخوان المسلمون" وما تفرع عنهم، مثل: جماعة التكفير والهجرة، أو أتباع سيد قطب "القطبيين" الذي يتولى رايتهم في هذه الأيام: مُحمَّد سرور زين العابدين، الذي ترك بلاد الإسلام و"هاجر" إلى بلاد الكفر، بلاد الكنائس والصلبان، وآثر السكنى هناك، ثم أخذ يوجه التوجيهات الخبيثة، ويفرق شمل المسلمين، ويطعن في العلماء ويثير على الحكام من خلال مجلته المسماة "السنة" -كما يزعم- ويطبع -أيضًا- المؤلفات والتي تطعن في مؤلفات علماء سلف الأمة.

وقد تبعه على خطه، ونعق خلفه أناس يزعمون أنّهم يطالبون بالحقوق الشرعية للمسلمين، ويدافعون عن المظالم، وكأن البلاد ليس فيها محاكم شرعية، ولا علماء عادلون صادقون؟! والله المستعان.

ومن الجماعات -أيضًا-: جماعة التبليغ، أتباع مُحمَّد إلياس الديوبندي، صاحب

---

(١) "الإبانة" (١/٣٨٦).

الطرق الصوفية.

وقد تباينت الأقوال عن هاتين الجماعتين:

فمن الناس من يجعلها من أهل السنة، وأن الاختلاف معهم إنما هو اختلاف في الأولويات، أو اختلاف في الأساليب الدعوية.

ومن الناس من يجعلها من أهل البدع والفرق المنحرفة.

فما القول الصحيح عن هاتين الجماعتين؟.

إن هذا السؤال يجرنا إلى سؤال آخر، تنبني إجابة على إجابته، ألا وهو:

ما هي الصفات التي تصير الفرق فرقًا مخالفة للفرقة الناجية المنصورة؟.

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى-: "**المسألة الخامسة**: وذلك أن هذه الفرق إنَّما تصير فرقًا بخلافها للفرقة في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي الشاذ لا ينشأ عن مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنَّما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، لأن الكليات تقتضي عددًا من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب، واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافًا في فروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال"[1].

وقال -أيضًا رحمه الله-: "**المسألة الثامنة**: أنه لما تبين أنَّهم لا يتعينون، فلهم خواص وعلامات يعرفون بها، وهي على قسمين: علامات إجمالية، وعلامات تفصيلية.

فأما العلامات الإجمالية فثلاث:

أحدها: الفرقة التي نبه عليها قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ [آل عمران:١٠٥]. روى ابن وهب عن إبراهيم النخعي أنه قال:

---

(١) "الاعتصام" للشاطبي (ص٤٠٤).

"هي الجدال والخصومات في الدين". وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]. وهذا التفريق كما تقدم إنَّما هو الذي يصير الفرقة الواحدة فرقًا لاتباعهم أهوائهم، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا، وهو قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩]. ثم برَّأه الله منهم بقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات، والكلام فيما لَم يأذن الله فيه ولا رسوله.

قال: ووجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد إلى الرأي، واستنباط من الكتاب والسنة فيما لَم يجدوا فيه نصًّا، واختلف في أقوالهم، فصاروا محمودين؛ لأنَّهم اجتهدوا فيما أمروا به، كاختلاف أبي بكر وعمر وعلي وزيد في الجد مع الأم، وقول علي وعمر في أمهات الأولاد، وخلافهم في الفريضة المشتركة، وخلافهم في الطلاق قبل النكاح، وفي البيوع، وغير ذلك، فقد اختلفوا، وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة.

فلما حدثت الأهواء المردية التي حذر منها رسول الله ﷺ، وظهرت العداوات، وتحزب أهلها فصاروا شيعًا، دلَّ على أنه إنَّما حدث ذلك من المسائل المحدثة، التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه.

قال: كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولَم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنَّها من مسائل الإسلام.

وكل مسألة حدثت وطرأت، فأوجبت العداوة والبغضاء، والتدابر والقطيعة، علمنا أنَّها ليست من أمر الدين في شيء، وأنَّها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية، وذلك ما روي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ من هم؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**هم أصحاب الأهواء، وأصحاب البدع، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة**».

قال: فيجب على كل ذي عقل ودين أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]. فإذا اختلفوا وتعاطوا ذلك كان بحدث أحدثوه من اتباع الهوى، هذا ما قاله، وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين.

وهذه الخاصية دل عليها الحديث المتكلم عليه، وهي موجودة في كل فرقة من الفرق المتضمنة في الحديث، ألا ترى كيف كانت ظاهرة في الخوارج، الذين أخبر بهم النبي ﷺ في قوله: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**». وأي فرقة توازي هذه الفرقة التي بين أهل الإسلام وأهل الكفر؟، وهي موجودة في سائر من عرف من الفرق، أو ادعى ذلك فيهم، إلا أن الفرقة لا تعتبر على أي وجه كانت، لأنها تختلف بالقوة والضعف"[(١)].

وقال -أيضًا-: "والخاصية الثالثة: اتباع الهوى الذي نبه عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران:٧]. والزيغ هو الميل عن الحق اتباعًا للهوى، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ [القصص:٥٠]. وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]"[(٢)].

وقال -أيضًا-: "ولكن هذا الافتراق إنما يعرف بعد الملابسة والمداخلة، وأما قبل ذلك فلا يعرفه أحد، فله علامات تتضمن الدلالة على التفرق، أولها: مفاتحة الكتاب، وذلك إلقاء المخالف لمن لقيه ذم المتقدمين، ممن اشتهر علمه وصلاحه واقتداء الخلف بهم، ويختص بالمدح من لم يثبت له ذلك من شاذ مخالف لهم، وما أشبه ذلك، وأصل هذه العلامة في الاعتبار تكفير الخوارج -لعنهم الله- الصحابة

---

(١) "الاعتصام" (ص٤٢٨، ٤٢٩).

(٢) "الاعتصام" (ص٤٣١).

الكرام ﷺ فإنهم ذموا من مدحه الله ورسوله، واتفق السلف الصالح على مدحهم والثناء عليهم، ومدحوا من اتفق السلف الصالح على ذمه كعبد الرحمن بن ملجم، وقاتل علي ﷺ وصوبوا قتله إياه، وقالوا: إن في شأنه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ [البقرة:٢٠٧]. وأما التي قبله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة:٢٠٤]. فإنها نزلت في شأن علي ﷺ وكذبوا -قاتلهم الله- وقال عمران بن حطان في مدحه لابن ملجم:

يا ضربة من تقي مـــا أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكـره يومًا فأحسبـه ... أوفى البرية عنـد الله ميزانا

وكذب -لعنه الله- فإذا رأيت من يجري على هذا الطريق، فهو من الفرق المخالفة، وبالله التوفيق"[1].

فالذي يتضح أن من الصفات التي تصير الفرق فرقًا مخالفة للفرقة الواحدة الناجية المنصورة، هي الآتي:

أولاً: اتباع الهوى، فالأمة الإسلامية ما افترقت إلا بالأهواء كما سبق، وتقديمه على الحق، مما يتفرع عنه أمور كثيرة.

ثانيًا: الاختلاف الذي يورث العداوة والتفرق والتحزب، فكل مسألة اختلف فيها فأنتجت تفرقًا وعداوة وبغضاء فهي من دلائل وعلامات أهل الأهواء والفرق الضالة.

ثالثًا: مخالفة الأصول التي أتى بها الرسول ﷺ.

رابعًا: الاعتماد على المعقول في أخذ العقيدة والدين، وترك الاستدلال من المنقول.

خامسًا: الطعن في علماء أهل السنة.

---

(١) "الاعتصام" (ص٤٣٣).

والناظر إلى هاتين الجماعتين المحدثتين يجد فيها الآتي:

أولاً: اتباعهم لأهوائهم.

ومما يدل على ذلك: أنهم لا يتعرفون إلى الحق إلا من خلال كلام قوادهم ومنظريهم، ولا يخرجون عن ذلك ولو أنهم رأوا الحق وعرفوه مع غيرهم لا يأخذوه لأنه لَم يصدر عن الحزب أو الجماعة أو أحد قوادها ودعاتها.

وكذلك يردون كل كلام أو نقد في جماعتهم أو دعاتهم ولا يقبلونه ولو كان نقدًا بناءً صحيحًا مبنيًا على الأدلة والبراهين، ولو كان من أكبر العلماء، فماذا يقال عن هذا، أهو تجرد لله واتباع للحق؟! أم أنه هوى وزيغ عن الحق؟!.

وكذلك أنهم عقدوا الحب والبغض، والولاء والبراء، على الأشخاص، لا على الحق والكتاب والسنة.

وكل ذلك قد رآه وعلمه من خالط أفراد هذه الجماعات، وسرعان ما يدخل الهوى في قلوب هؤلاء حتى يصدهم عن سماع واتباع الحق.

ثم إنهم يؤولون النصوص من الكتاب والسنة وأقوال العلماء إلى ما يهوون. ويؤصلون، ويحرفون كلام العلماء، ويأخذون منهم ما يوافق أهواءهم، وإذا صدر كتاب يفضح حركاتهم ويبين أخطاءهم حاولوا منعه وعدم انتشاره، بل يمنعون أفرادهم من قراءة ذلك الكتاب، بل يصل بهم الأمر إلى حرق هذا الكتاب.

وكل هذا رأيناه عند أصحاب هذه الجماعات.

ثانيًا: هاتان الجماعتان وما تفرع عنهما، عندما ظهرت في بلاد المسلمين، فإن ظهورها أدى إلى وجود الفرقة بين المسلمين، والتحزبات والعداوة والبغضاء والتعصبات، وربط الولاء بالحزبيات وأعضائها أيًا كان العضو، أشعريًا، رافضيًا، صوفيًا، قبوريًا، والبراءة من كل شخص لا ينتسب إلى حزبهم ولو كان عالمًا سنيًا.

وهذا كما تقدم من علامات أهل البدع والأهواء والفرقة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا**

كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدع والفرقة، كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة الكلام في الدين وغير ذلك، كان من أهل البدع والضلال والتفرق"[١].

ويقول -أيضًا- رحمه الله: "ومثل هؤلاء إذا لَم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون ويعادون عليه؛ كان من نوع الخطأ، والله ﷻ يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها، لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقه، وعادى مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلاف"[٢].

ثالثًا: مخالفتهم للأصول العامة التي أتى بها الرسول ﷺ:

وذلك أن الرسول ﷺ أتى بمسائل عظيمة، خالف فيها ما كان عليه أهل الجاهلية[٣]، فأهل الجاهلية كانوا يعبدون الله بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته، فخالفهم الرسول ﷺ، فأتى بالإخلاص، ودعا إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه.

وهذه المسألة هي أعظم ما خالف الرسول ﷺ فيها أهل الجاهلية، ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد.

---

(١) "الفتاوى" (٣/٣٧٤).

(٢) "الفتاوى" (٣/٣٤٩).

(٣) انظر "مسائل الجاهلية" لشيخ الإسلام: مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-.

وأما هذه الجماعات فلا نرى لها أي اهتمام بهذا الجانب، بل إن بعضهم وقع في الشرك وعبادة ما سوى الله، وبعضهم أخذ يوالي ويناصر أهل الشرك والبدع والخرافات على أهل التوحيد والاتباع.

بل إن جماعة التبليغ فسروا التوحيد الذي خالف فيه الرسول ﷺ أهل الجاهلية بتوحيد الربوبية الذي كانت قريش مقرة به.

والإخوان المسلمون وما تفرع عنهم وسار على خطهم فسروه بالحاكمية، بل إن بعضهم وصف ما حاربه الرسول ﷺ والأنبياء قبله من الشرك بالشرك الساذج، وقالوا بأن الذي يجب أن يحارب اليوم هو الشرك السياسي.

فأي مخالفة أعظم من هذه المخالفة؟!.

وكذلك من المسائل العظيمة التي خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية: دعوته إلى الاجتماع وعدم التفرق والتنازع، حيث إن أهل الجاهلية كانوا متفرقين إلى أحزاب وأديان وأهواء، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحال الجماعات والحزبيات اليوم كحال أهل الجاهلية بالأمس، فهم متفرقون متنازعون، كل حزب بما لديهم فرحون.

ومن المسائل التي خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية: أن أهل الجاهلية كانوا يرون السمع والطاعة لولي الأمر مذلة ومهانة، وأن الفضيلة في مخالفته، وعدم الانقياد له، فخالفهم النبي ﷺ في ذلك، وأمر بالصبر على جور الولاة، والسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك، وأبدى وأعاد.

وأما الجماعات الحالية لها بيعات مستقلة لقوادها وأمراء الجماعات، وليس عندهم سمع ولا طاعة لولي الأمر، بل يستغلون المنابر في إثارة الفتن، والقيام على الولاة، ولا يدعون لولي الأمر بالصلاح، بل ربما يقع منهم عكس ذلك.

وهذا من علامات أهل الأهواء والبدع.

وهذه المسائل الثلاث، هي أعظم القواعد والأصول، التي أتى بها الرسول ﷺ

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[1].

ومع ذلك فالجماعات والأحزاب الحالية مخالفون لهذه القواعد والأصول.

ومن المسائل التي خالف الرسول ﷺ فيها أهل الجاهلية: أن أهل الجاهلية كان دينهم مبنيًا على أصول، أعظمها التقليد قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠]. فأتى الرسول ﷺ بخلاف ذلك، ودعا إلى الاتباع، قال تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:٣]. وكان النبي ﷺ يقول: «**فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ**»[2].

ومع ذلك، فهذه الجماعات سلكت مسلك أهل الجاهلية، فأفرادها لا يخرجون البتة عن قول الحزب، أو المنظرين له، أو دعاتهم، ولو خالف الدليل، واتضحت المخالفة لهم، فلا يقبلون الحق إلا ما تقول به طائفتهم، وهذا حال أهل الجاهلية.

رابعًا: اعتماد هاتين الجماعتين في أخذ المسلك وطريق الدعوة إلى الله على المعقول والرأي والفكر، وبحسب المصلحة التي يحددها رأيهم، لا الكتاب والسنة وقواعد الشرع.

وما أشبههم بأهل التحسين والتقبيح، الذين ذمهم السلف الصالح.

فانظر مثلاً: **فهم يرون أن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة السلفية، والتحذير من البدع وأهلها تفرق، والمصلحة في هذه الأيام تقتضي جمع المسلمين وعدم تفرقهم، وذلك –**

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٣/١٣٤٠).

(٢) "السنة" لابن أبي عاصم (ص١٦).

بزعمهم- للوقوف ضد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والشيوعيين.

وتركوا بذلك سبيل الله الذي وضحه في القرآن العظيم، ودعوة الرسول ﷺ والأنبياء -عليهم السلام- وعمل وأقوال ومؤلفات علماء الأمة قاطبة في توضيح الدين، والتحذير من أهل الأهواء والبدع.

خامسًا: طعن هؤلاء الأحزاب والجماعات في العلماء السلفيين أهل الحديث، وتحذيرهم للناس منهم، وحقدهم الدفين عليهم، وتكاتف جميع أهل الحزبيات والبدع عليهم.

وهذه علامة من علامات أهل الفرق والبدع، كما قال النَّبِي ﷺ: **«يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»**.

وهذا واضح في الجماعات الحالية، فما أكثر حقدهم على السلفيين؟!.

وفي المقابل ما أكثر محبتهم وولائهم لأهل البدع والخرافات؟!.

فمن طعنهم في العلماء: أنَّهم يصفونَهم بأوصاف تنفر عنهم تصريحًا أو تلميحًا، وذلك مثل قولهم: أنَّهم مداهنون، أو لا يفقهون الواقع، أو أنَّهم علماء سلطة، أو غير ذلك مما هو معروف ومشتهر.

وفي المقابل يَمدحون أناسًا ليسوا من العلماء: بل ليسوا أهلاً للعلم، كالمفكرين، والسياسيين، والخطباء الحماسيين المستغلين المنابر استغلالاً سيئًا وإثارة للفتن، حتى جعلوها منابر لنشر الأخبار السياسية العالمية.

ويصفون هؤلاء بأنَّهم هم فقهاء الواقع، وأنَّهم قواد الجيل، ومنقذو الأمة!.

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعد:

فالذي يتضح أن هاتين الجماعتين وما تفرع عنهما ممن سلك مسلكهم هم من الفرق المخالفة للطائفة المنصورة الناجية أهل السنة والجماعة، بل إن من الظلم أن يوصف هؤلاء أنَّهم أهل سنة، فأي سنة تلك التي يسيرون عليها؟!.

أترك دعوة التوحيد؟!.

أم التفرق والتحزب واتباع الأهواء؟!.

أم الطعن في العلماء والأمراء؟!.

أم التقليد الأعمى للأشخاص والطاعة العمياء لأوامر الحزب؟!.

فلنتق الله يا أهل الإسلام، ولا نخون الله ورسوله وكتابه والمسلمين، ولا نغش العامة، ولا نقيس الأمور بعواطفنا، فدين الله واضح وقواعد السلف بينة، والرسول ﷺ قد تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

ودع عنك تلك المصطلحات البراقة الخداعة، وهو قولهم: هذا سلفي العقيدة تبليغي المنهج، أو سلفي العقيدة إخواني المنهج، فكلها شعارات براقة.

والله ﷻ قد أكمل دينه، ومن ذلك مسلك الدعوة إلى الله، فهو أمر توقيفي على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وما سوى ذلك فبدع وضلالات، وإن زخرفت المسميات، وادعيت الانتماءات.

فالخوارج لما انحرفوا في منهج الحاكمية، وقالوا كلمة حق أريد بها باطل، قاتلهم علي رضي الله عنه لأنهم أتوا بمنهج بدعي، لَم يكن عليه النَّبي ﷺ ولَم يقل رضي الله عنه: إن أصولهم الاعتقادية صحيحة، فالخلاف معهم بعد ذلك جائز، وأن فعلهم هذا من باب الغيرة للدين واختلاف الوسائل، بل اتفق جميع الصحابة على قتالهم والتحذير منهم.

ولكن في حقيقة الأمر أن من وراء ذلك مقاصد خطيرة، تهدم ما كان عليه سلف هذه الأمة، فهم يريدون بذلك تفهيم الناس أن اختلاف المناهج جائز لا شيء فيه، وأنه من باب اختلاف الوسائل والأساليب، واختلاف في الأولويات، وكذلك هو تمييع لمبدأ الولاء والبراء مع أهل البدع، ومحو لمنهج السلف في التحذير من أهل الأهواء والبدع.

بل إن المتبصر بحقيقة أمرهم، يجد أن أمرهم هذا، وطريقتهم هذه، وتجمعهم على هذا المسلك، ليس مقتصرًا على من أصوله صحيحة، بل يدخل تحت تجمعاتهم

وحزبياتِهم كثير من أهل البدع، كالأشعري، والقبوري، والمفوض للصفات، والديوبندي، وأصحاب الطرق الصوفية، وغيرهم من أصحاب العقائد الفاسدة، ويظهر ذلك من مؤازرتِهم لهم في العالم الإسلامي قاطبة، ومساعدتِهم لهم بالأموال الطائلة، وكذا مدحهم وتبجيلهم ونشر مؤلفاتِهم.

فمن هو قائد الجيل عند أصحاب هذا المصطلح؟!.

أليس هو سيد قطب، صاحب العقائد الفاسدة، والفكر الخارجي(١)؟!.

فمن الذي قام بنشر مؤلفاته، وإلزام الشبيبة بقراءتِها، وطبعها المرات تلو المرات؟!.

ومن هو صاحب الصرح؟! والذي يذكر في أناشيدهم الصوفية؟.

أليس البنا حسن؟! صاحب التفويض(٢) في الصفات، والذي يرى أن الخلاف بين السلف والخلف في الأسماء والصفات خلاف لفظي، وأنه خلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتًا.

وغيرهم من زعماء ومفكري الإخوان المسلمين والتبليغ، والذين ملئت صدور الشباب من تبجيلهم وتعظيمهم. والله المستعان.

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- في كتبه التالية وهي:
"أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره".
"مطاعن سيد قطب في الصحابة".
"الحد الفاصل بين الحق والباطل".
"العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم".

(٢) يقول حسن البنا مرجحًا عقيدة التفويض في الصفات، بل ناسبًا هذه العقيدة إلى السلف -كما يزعم- والسلف بريئون من ذلك، فيقول: "ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله -تبارك وتعالى- أسلم وأولى بالاتباع، حسمًا لمادة التأويل والتعطيل "مجموع رسائل حسن البنا". (ص٤١٧).

الفصل الثامن

في بيان الفرقة الناجية وأصولها وصفاتها

روى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من يأتي أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**». قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

فهذا الحديث يبين أن الرسول ﷺ عندما أخبر بتفرق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأنها كلها هالكة إلا واحدة؛ لم يترك وصف هذه الفرقة الناجية ملتبسًا على أمته، بل بينه ﷺ أتم بيان، وبكلام جامع مانع، فقد أعطي ﷺ جوامع الكلم، فقال ﷺ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

فهذا الوصف المختصر لمسلك الفرقة الناجية، وهي التي تكون متبعة في كل مسألة من مسائل الدين لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم- ومن انحرف عن هذا المسلك فهو من الفرق الهالكة.

فالفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، هم المتمسكون بكتاب الله ﷻ وسنة

---

(١) سنن الترمذي (٢٦/١)، وحسنه الألباني. وقد سئل سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز -يرحمه الله- عن الفرقة الناجية الواردة في هذا الحديث فقال: "هذه هي الفرقة الناجية الذين اجتمعوا على الحق، الذي جاء به الرسول ﷺ واستقاموا عليه، وساروا على نهج الرسول ﷺ ونهج أصحابه، وهم أهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث الشريف، السلفيون، الذين تابعوا السلف الصالح وساروا على نهجهم في العمل بالقرآن والسنة، وكل فرقة تخالفهم فهي متوعدة بالنار". فتاوى نور على الدرب (١٥/١).

الرسول ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين والصحابة الكرام، والتابعين وأتباعهم، واقتفوا آثارهم، وهجروا البدع والأمور المستحدثة، ولَم يتبعوا أهل الأهواء وعلماء الكلام وأهل الرأي، الذين يقيسون الأمور بعقولهم وآرائهم.

وهم أهل الحديث، وأهل العلم، الذابون عن السنة من تأويلات الجاهلين، وتحريفات الغاوين، وانتحال المبطلين.

وهم الذين جعلوا القرآن العظيم والسنة المشرفة وعقيدة السلف مقياسًا للولاء والبراء، ولَم يعقدوا الموالاة والمعاداة على التعصب للرجال، أو على مسألة تؤصل من غير دليل، فيفرقون من أجلها بين الناس، ويتحزبون عليها.

وهم الذين لا تستحيشهم العواطف والأهواء عند الفتن وظهور الفساد، بل يرجعون الأمور كلها إلى القرآن والسنة وفهم السلف، بحكمة وروية وحزم وصبر.

وهم حفظة الدين، لأنهم هم الذين يتعلمون القرآن الكريم، وتفسيره، وأحكامه، ويتعلمون سنة النَّبي ﷺ، ويفقهونَها بفقه السلف، ويبلغونَها للناس، ويجلسون في المساجد للتعلم والتعليم كدأب سلفهم الصالح، ويرحلون في طلب العلم والحديث، وليس عندهم مناجاة وسريات وحزبيات دون العامة والخاصة، بل يلتفون حول العامة والخاصة، ويناصحونَهم، ويشاركونَهم في أفراحهم وأتراحهم، ويسمعون ويطيعون لمن ولاه الله أمرهم، ويدعون لهم بالصلاح والبطانة الصالحة، ويؤدون إليهم حقوقهم، ويسألون الله حقوقهم.

فقلوبُهم للعامة والخاصة نظيفة، وألسنتهم وجوارحهم عن الخيانة والخبث بعيدة، وما من مبتدع يظهر برأي مستحدث إلا كانوا له بالمرصاد.

وهم الذي يحبون السنة، ويعملون بالسنة، ويوالون أهل السنة، ويبغضون البدع، ويهجرون البدع، ويعادون أهل البدع، لَم تفرقهم الأهواء والحزبيات، بل تجمعهم السنة، فعليها يجتمعون، وبها يتحابون ويتآلفون، ولأجلها يوالون ويعادون، لا يعرفون حب النفس والانتصار والانتقام لها، بل يغارون وينتقمون لله ورسوله

ودينه، كما كان عليه قدوتُهم مُحمَّد ﷺ.

يقول الشاطبي -رحمه الله تعالى- عند قوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»: "**وحاصل الأمر**: أن أصحابه كانوا مقتدين به، مهتدين بِهديه، وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم، وأثنى على متبوعهم مُحمَّد ﷺ، وإنَّما خلقه ﷺ القرآن، فقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤]. فالقرآن هو المتبوع على الحقيقة، وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل من اقتدى بِهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى قوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما.

هذا هو الوصف الذي كان عليه النَّبي ﷺ وأصحابه، وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى من قوله: "وهي الجماعة" لأن الجماعة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف"(١).

وقال أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري -رحمه الله-: "حدثنا أبو العباس مُحمَّد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن مرزوق البصري بمصر، ثنا وهب بن جرير، ثنا شعبة عن معاوية بن قرة، قال: سمعت أبي يحدث عن النَّبي ﷺ قال: «**لا يزال ناس من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»".

ثم قال: "سمعت أبا عبد الله مُحمَّد بن علي بن عبد الحميد الأدمي بمكة يقول: سمعت موسى بن هارون يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: سئل عن معنى هذا الحديث فقال: إن لَم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟".

---

(١) "الاعتصام" (ص٤٤٣).

قلت: قال القاضي عياض -رحمه الله-: "أراد أحمد: أهل السنة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث"[١].

ثم قال رحمه الله -أي: الحاكم-: "وفي مثل هذا قيل: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحق، فلقد أحسن أحمد بن حنبلٍ في تفسير هذا الخبر، أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله أجمعين-، من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار، وقنعوا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة العلم والأخبار، وقنعوا عند جميع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار، قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية، وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ، وجعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها تكاهم، وبواريها فرشهم".

ثم قال -رحمه الله-: "حدثنا أبو الحسن علي بن مُحمَّد بن عقبة الشيباني بالكوفة، ثنا مُحمَّد بن الحسين بن أبي الحنين، ثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: سمعت أبي، وقيل له: ألا تنظر إلى أصحاب الحديث، وما هم فيه؟ قال: هم خير أهل الدنيا".

وقال: "حدثني أبو بكر مُحمَّد جعفر المزكي، ثنا أبو بكر مُحمَّد بن إسحاق، قال: سمعت علي بن خشرم يقول: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس، يقيم أحدهم ببابي، وقد كتب عني، فلو شاء أن يرجع ويقول: حدثني أبو بكر جميع حديثه فعل، إلا أنَّهم لا يكذبون".

ثم قال -رحمه الله-: "ولقد صدقا جميعًا؛ أن أصحاب الحديث خير الناس،

---

(١) "فتح الباري" (١/١٦٤).

وكيف لا يكونون كذلك، وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة، وسمرهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، ونومهم السهاد، واصطلاءهم الضياء، وتوسدهم الحصى، فالشدائد -مع وجود الأسانيد العالية- عندهم رخاء، ووجود الرخاء -مع فقد ما طلبوه- عندهم بؤس، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، قلوبُهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانُهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**». ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي مُحمَّد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على غيرهم من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي مُحمَّد ﷺ على كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسُمُّوا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة"[2].

وقال -أيضًا- رحمه الله تعالى: "وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به مُحمَّد ﷺ، لكن لما أخبر النَّبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة،

---

(١) "معرفة علوم الحديث" (ص٣٥٢).

(٢) "الفتاوى" (١٥٧/٣).

كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة، قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**».

فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب، وصلى الله على مُحمَّد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا"[١].

وقال -أيضًا- رحمه الله: "وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعها: تصديقًا، وعملاً، وحبًّا، وموالاة لها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون[٢] المقالات المجملة إلى ما جاء من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم، وجمل كلامهم إن لَم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله ﷺ، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه، وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف. فما كان

---

(١) "الفتاوى" (١٥٩/٣).

(٢) في المطبوعة "يروون" والأظهر ما أثبته.

في معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفًا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم، وجماع الشر: الجهل والظلم، قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب:٧٢]. إلى آخر السورة. وذكر التوبة لعلمه ﷻ أنه لابد لكل إنسان من أن يكون فيه جهل وظلم ثم يتوب الله على من يشاء، فلا يزال العبد المؤمن دائمًا يتبين له من الحق ما كان جاهلاً به، ويرجع عن عمل كان ظالمًا فيه"[١].

فالمقصود مما تقدم: بيان أن الفرقة الناجية المنصورة هم أهل الحديث، والعلماء السائرون على مسلك السلف الصالح، ومن تمسك بطريقتهم من العامة والخاصة، وأنهم هم الذين عناهم النَّبِي ﷺ بقوله: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». وقوله: «**هم الجماعة**».

❁❁❁❁❁

---

(١) "الفتاوى" (٣/٣٤٧).

الفصل التاسع

في بيان موقف أهل السنة من أهل البدع

إن المتدبر لكتاب الله ﷻ وسنة النَّبِي ﷺ يجد أن الدين مبني على أصلين عظيمين، هما: التأصيل والتحذير؛ تأصيل الحق وبيانه، والتحذير من الباطل بكل أشكاله.

قال الله تعالى مبينًا هذا الأصل العظيم: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[1].

فالله ﷻ يوضح أنه لا يكون المسلم على الطريقة المثلى، والصراط المستقيم؛ إلا إذا جمع أصلين، هما: الكفر بكل باطل وبكل ما يعبد من دون الله، والإيمان بالله وحده لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته.

وقال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»[2].

قال الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- عند هذا الحديث: "وهذا من أعظم ما يبن معنى لا إله إلا الله، فإنه لَم يجعل التلفظ بِها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بِما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لَم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما

---

(١) البقرة:٢٥٦

(٢) رواه مسلم في صحيحه. حديث رقم (٢٣) (١/٥٣).

أقطعها للمنازع"[١].

قلت: وكذلك لا يكون الرجل متبعًا لهدي المصطفى ﷺ حتى يضيف إلى ذلك هجر البدع، والتحذير منها ومن أهلها، وبغضهم.

فالتحذير من أهل الزيغ والبدع والهوى أصل من أصول ديننا، حفظًا للشريعة الغراء، وحماية للمسلمين من العقائد الفاسدة، والأهواء المردية.

وقد بين الله العليم الحكيم هذا الأمر العظيم، فقال ﷻ: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[٢].

قال الشوكاني -رحمه الله تعالى-: "والمعنى: إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والرد والاستهزاء فدعهم ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم حتى يخوضوا في حديث مغاير له، أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله إلى غاية هي: الخوض في غير ذلك.

وفي هذه الآية موعظة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة، وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر"[٣].

قال الله تعالى مخبرًا عن حال أهل الزيغ والهوى على سبيل التحذير والذم: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ**

---

(١) "فتح المجيد" (ص١٢٣).

(٢) الأنعام:٦٨.

(٣) "فتح القدير" (١٢٢/٢).

في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1].

عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيات ثم قال: «**إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم**»[2].

ويتضح هذا الأصل من سيرته ﷺ فقد روى البخاري بسنده إلى أبي سعيد الخدري: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «**ومن يعدل إذا لَم أعدل؟!**». فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «**دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نصله فلا يجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه فلا يجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه [أو قال: قدميه] مثل ثدي المرأة، [أو قال: مثل البضعة] تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس**». قال أبو سعيد: شهدت، سمعته من النبي ﷺ، وأشهد أن عليًّا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه: **﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾** [التوبة:٥٨][3].

وأخرج -أيضًا- بسنده إلى يسير بن عمرو، قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئًا؟ قال: سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق: «**يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**»[4].

---

(١) آل عمران:٧

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣).

(٣) "فتح الباري" (٢٩٠/١٢).

(٤) "فتح الباري" (٢٩٠/١٢).

ولقد سار على هذا المسلك الخلفاء الراشدون المهديون، فقد روى الآجري بسنده إلى سليمان بن يسار قال: "إن رجلاً من بني تميم يقال له صبيغ بن عسل قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر ﷺ فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر ﷺ: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ. فقال عمر ﷺ: وأنا عبد الله عمر. ثم أهوى إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد -والله- ذهب الذي كنت أجد في رأسي"[١].

وروى اللالكائي بسنده إلى قطن بن كعب، قال: "سمعت رجلاً من بني عجل يقال له فلان بن زرعة يحدث عن أبيه، قال: لقد رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلق، فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين"[٢].

وهذا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ يرسل ابن عباس -رضي الله عنهما- ليناقش الخوارج، ثم حارب وقاتل علي ﷺ من لَم يرجع منهم.

ولقد كان ﷺ يقول: "سيأتي قوم يجادلونكم، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله"[٣].

وسلك هذا المسلك -أيضًا- الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعون، ومن تبعهم بإحسان من أئمة أهل الإسلام وعلماء الأمة.

قال اللالكائي -رحمه الله-: "سياق ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن

---

(١) "الشريعة" للآجري (ص٧٣).

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٤/٦٣٦).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٢٣).

مناظرة أهل البدع، وجدالهم والمكالمة معهم، والاستماع إلى أقوالهم المحدثة، وآرائهم الخبيثة" ثم ذكر أحاديث وآثار توضح هذا الأصل العظيم.

فمن ذلك: ما روي عن مجاهد قال: "قيل لابن عمر: إن نجدة يقول: كذا وكذا، فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء"[(١)].

وعن الفضيل بن عياض قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم" [(٢)].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: "إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"[(٣)].

وعن إبراهيم قال: "ليس لصاحب البدعة غيبة"[(٤)].

ويقول عبد الله: "من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع"[(٥)].

وقد حكى أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" جملة معتقد أهل السنة أصحاب الحديث، ومما قال: "ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار، والنظر في الفقه"[(٦)].

يقول الشيخ أبو عثمان إسماعيل الصابوني -رحمه الله- في بيان طريقة أهل الحديث مع أهل البدع: "ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٢٢).

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٣١).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٣٥).

(٤) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٤٠).

(٥) "الإبانة" (٢/٤٧٣).

(٦) "حادي الأرواح" لابن قيم (ص١٤).

الله ﷻ قوله: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ [الأنعام:٦٨]"(١).

وقال -أيضًا- مبينًا علامات أهل السنة: "واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم، ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله ﷻ بمهاجرتهم"(٢).

قال -أيضًا-: "ولا يغرن إخواني -حفظهم الله- كثرة أهل البدع، ووفور عددهم، فإن وفور أهل البدع وقلة عدد أهل الحق من علامة اقتراب اليوم الحق، إذ الرسول ﷺ قال: «**إن من علامات الساعة واقترابها: أن يقل العلم ويكثر الجهل**» والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة، وقال ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»"(٣).

وحكى ابن وضاح عن غير واحد، أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: "اعلم يا أخي أن ما حملني على الكتب إليك ما أنكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، وأذلهم الله بذلك، وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر يا أخي بثواب الله، واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة الرسول ﷺ؟! وقد قال الرسول ﷺ: «**من أحيا شيئًا من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين**». وضم بين أصابعه. وقال: «**أيما داع دعا إلى هذه فاتبع عليه، كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة**». فمن يدرك يا أخي هذا بشيء من عمله؟. وذكر -أيضًا-: "إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًا لله يذب عنها، وينطق بعلاماتها".

(١) "عقيدة أصحاب الحديث" (ص١٠٠).

(٢) "عقيدة أصحاب الحديث" (ص١١٢).

(٣) "عقيدة أصحاب الحديث" (ص١١٣)، والحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

فاغتنم يا أخي هذا الفضل، وكن من أهله، فإن النَّبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمنْ فأوصاه، وقال: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من كذا وكذا**». وأعظم القول فيه.

فاغتنم ذلك، وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث، يكونون أئمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء الأثر، فاعمل على بصيرة ونية حسنة، فيرد الله بك المبتدع والمفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفاً من نبيك ﷺ، فأحي كتاب الله وسنة نبيه، فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه"[١].

فهذه الآثار وغيرها كثير من سلف هذه الأمة، مبثوثة في بطون الكتب، كلها تنبئ عن موقف السلف الصالح القوي، والذي لا مداهنة فيه ولا برود مع أهل البدع والأهواء.

بل إن السلف الصالح لَم يكونوا يغترون بزهد الرجل، أو بحسن ألفاظه، أو تقفره لآثار العلم، أو كثرة وعظه للناس، أو غير ذلك، ما لَم يكن على السنة النبوية والطريقة السلفية، وكيف يغترون وعندهم خبر عن نبيهم مُحمَّد ﷺ عندما أخبر الصحابة -رضوان الله عليهم- عن حال الخوارج، ومدى عبادتِهم وزهدهم، وأنَّهم -أي: الصحابة- يحقرون صلاتَهم مع صلاتِهم، وصيامهم مع صيامهم. ولكن هذا الإخبار جاء في سياق التحذير والذم وعدم الاغترار، وذلك أنَّهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، فيتأولونه على غير مراده، فيمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولذلك لما جاء يحيى بن يعمر، وحميد بن عبد الرحمن الحميري إلى ابن عمر -رضي الله عنهما-، وأخبراه عن حال القدرية الذين ظهروا بالبصرة، فقالوا عنهم: أبا عبد الرحمن، إنه ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم. وذكر

(١) "الاعتصام" للشاطبي (ص٢٥).

من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. لَم يغتر ﷺ بتلك الأعمال، وبقراءتهم، وطلبهم للعلم، وذلك لأنهم ظهروا ببدعة، فقال ﷺ: "فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم، وهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[١].

وهذا إمام أهل السنة والجماعة -أيضًا- لَم يجعل الزهد ووعظ الناس واقتفاء العلم مقياسًا لمعرفة أن يكون الإنسان على الصواب أم لا، ما لَم يكن على السنة النبوية والطريقة السلفية.

فقد ذكر القاضي أبو الحسن مُحمَّد بن أبي يعلى في "طبقات الحنابلة" عند ترجمة علي بن أبي خالد، قال: "نقل عن إمامنا أشياء، منها: قال: قلت لأحمد: إن هذا الشيخ -لشيخ حضر معنا- هو جاري، وقد نهيته عن رجل، ويحب أن يسمع قولك فيه: حارث القصير -يعني: حارثًا المحاسبي- وكنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة وقلت لي: لا تجالسه ولا تكلمه، فلم أكلمه حتى الساعة، وهذا الشيخ يجالسه، فما تقول فيه؟ فرأيت احمد قد احمر لونه، وانتفخت أوداجه وعيناه، وما رأيته هكذا قط، ثم جعل ينتفض ويقول: ذاك؟ فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه، أويه أويه[٢]، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان، فأخرجهم إلى رأي جهم، هلكوا بسببه، فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله، يروي الحديث، ساكن خاشع، من قصته ومن قصته؟[٣]. فغضب أبو عبد الله، وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه، ويقول: لا تغتر بتنكيس رأسه، فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره، لا تكلمه ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعًا تجلس إليه؟! لا، ولا كرامة، ولا نُعمى عين،

---

(١) "صحيح مسلم بشرح النووي" (١/٣٧).

(٢) كلمة معناها: التأفف.

(٣) أي: ذكر من حسناته وأعماله كذا وكذا.

وجعل يقول: ذاك ذاك"[1].

ويقول البربَهاري -رحمه الله تعالى-: "واعلم -رحمك الله- أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنَّما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب"[2].

وتقدم له -أيضًا- كلام آخر وفيه: "وإذا رأيت الرجل مجتهدًا، متقشفًا، محترقًا بالعبادة، صاحب هوى؛ فلا تجالسه، ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه، ولا تمشي معه في طريق، فإني لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك معه"[3].

وقال الآجري -رحمه الله-: "فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي، قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام أو جائرًا، فخرج، وجمع جماعة، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج"[4].

فالمقصود: أن السلف لَم يكن يغتروا بأعمال أهل البدع وزهدهم وطلبهم للعلم، بل لَم يمنعهم هذا من التحذير منهم وهجرهم.

فأين أصحاب القواعد المستحدثة من هذه الآثار ومن هذا المسلك الذي بينه النَّبِي ﷺ، وسار عليه الصحابة -رضوان الله عنهم-، وعلماء سلف الأمة -رحمهم الله تعالى-؟! وذلك مثل القاعدة المستحدثة، وهي قاعدة ذكر الحسنات والسيئات!! والتي كان المقصود من ورائها رفع شأن المبتدعة، والتهوين من بدعهم، ونشر مؤلفاتهم وأفكارهم الضالة في وسط المجتمعات والبلدان التي عقائد أهلها سلفية.

---

(١) "طبقات الحنابلة" (٢٣٣/١).

(٢) "شرح السنة للبربَهاري" (ص١٠٤).

(٣) انظر (ص[illegible]) من هذا الكتاب.

(٤) "كتاب الشريعة" للآجري (ص٢٨).

وهذه القاعدة: "ذكر الحسنات والسيئات" باطلة من وجوه:

أولاً: أن ميزان أعمال الإنسان والنظر في سيئاته وحسناته هذا إلى الله ﷻ يوم القيامة، حيث لا يظلم الناس شيئًا، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

أما نحن العباد فقد تعبدنا الله تعالى برد الباطل والهوى والبدع، والتحذير منها ومن أصحابها.

ثانيًا: أن هذه القاعدة، وما يراد منها خلاف ما أصَّله النَّبي ﷺ، وما سار عليه سلف الأمة كما تقدم.

ثالثًا: أن هذه القاعدة فيها غش لعامة المسلمين وخاصتهم، وخيانة لله ورسوله، والله ﷻ يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] ويقول الرسول ﷺ: «من غش فليس مني»[3].

فإذا كان الرسول ﷺ قد تبرأ ممن يغش المسلمين في المعاملات، فكيف بمن يغشهم في أمر الدين؟.

ويتبين غش هؤلاء للمسلمين ومدى خيانتهم للإسلام: أنه إذا كان أحدهم يتكلم عن أحد هؤلاء المبتدعة فإنه يذكر ما قدم للإسلام، وما تحمل في سبيل الله، وما ألف من مؤلفات، وكيف قاوم الطواغيت، وكيف، وكيف. فيأخذ يطيل في ذكر المدائح والحسنات، وهلمَّ جرًّا.

ثم بعد ذلك -حتى لا يؤاخذ بكلامه- يقول: "وإن كان عنده بعض الأخطاء، مثل كذا وكذا".

---

(١) الأنبياء:٤٧

(٢) الأنفال:٢٧

(٣) طرف من حديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، وفي لفظ آخر: "من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا" صحيح مسلم (١/٩٩) رقم الحديث (١٠١- ١٠٢).

ثم يقول: "ولكن مع ذلك فهذه سيئة تغوص في بحر حسناته".

وإن كانت هذه السيئة التي يعنيها: إنكار الأسماء والصفات، أو تأويلها، أو تفويض معانيها، أو تكفير المسلمين، أو الطعن في الصحابة، أو القول بخلق القرآن، أو الدعوة إلى الخروج على الأئمة، أو غير ذلك من البدع، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فأي خيانة لله ورسوله والإسلام أعظم من هذه الخيانة؟. وأي غش للمسلمين أعظم من هذا الغش؟!.

فالله المستعان، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

وقد كتب شيخنا: ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- مؤلفًا في ذلك بعنوان: "منهج أهل السنة في نقد الرجال والطوائف والكتب" فليراجعه من أراد التوسع، ومعرفة خطورة مقولة هؤلاء.

فخلاصة ما تقدم: أن موقف السلف تجاه المبتدعة واضح بيِّن كما أسلفنا، وذلك حفظًا للدين، ونصحًا للعامة والخاصة.

وقد ألف علماء السلف لأجل ذلك المؤلفات الكثيرة في بيان معتقد أهل السنة والرد على المبتدعة، وذلك مثل:

١- إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- (ت٢٤٠هـ) ومؤلفه: كتاب "الرد على الزنادقة والجهمية".

٢- الإمام مُحمَّد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله- (ت٢٥٦ هـ) وكتابه "خلق أفعال العباد" وكتاب: "الرد على الجهمية".

٣- الإمام أبو مُحمَّد عبد الله بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، وكتاباه: "تأويل مختلف الحديث"، وكتاب: "الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية المشبهة".

٤- الإمام عثمان بن سعيد الدارمي -رحمه الله تعالى- (ت٢٨٠هـ)، ومؤلفه "الرد على الجهمية".

٥- الإمام الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني -رحمه الله تعالى- (ت٢٨٧هـ)، ومؤلفه: كتاب "السنة".

٦- الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- (ت٢٩٠هـ)، ومؤلفه: كتاب "السنة".

٧- الإمام مُحمَّد بن نصر المروزي -رحمه الله تعالى- (ت٢٩٤هـ)، ومؤلفه: "السنة".

٨- الإمام أبو جعفر مُحمَّد بن جرير الطبري صاحب التفسير العظيم -رحمه الله- (ت٣١٠هـ)، ومؤلفه: "صريح السنة".

٩- الإمام أبو بكر أحمد بن مُحمَّد بن هارون بن يزيد الخلال -رحمه الله تعالى- (توفي في شهر ربيع الأول، عام ٣١١هـ)، ومؤلفه: "السنة".

١٠- إمام الأئمة أبو بكر مُحمَّد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه الله تعالى- (توفي في شهر ذي القعدة عام ٣١١هـ)، ومؤلفه: "كتاب التوحيد، وإثبات صفة الرب عز وجل".

١١- إمام أهل السنة والجماعة في عصره أبو مُحمَّد الحسن بن علي البربَهاري -رحمه الله تعالى- (ت٣٢٩هـ)، ومؤلفه: كتاب "شرح السنة".

١٢- الإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحسين الآجري -رحمه الله تعالى- (ت٣٦٠هـ)، ومؤلفه: "الشريعة".

١٣- الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن مُحمَّد بن بطة العكبري -رحمه الله تعالى- (ت٣٨٧هـ)، ومؤلفه: "الإبانة عن الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة".

١٤- الإمام الحافظ مُحمَّد بن إسحاق بن يحيى بن مندة -رحمه الله تعالى- (ت٣٩٥هـ)، وله في ذلك عدة مؤلفات، منها: "كتاب التوحيد"، و"كتاب الإيمان" و"كتاب الرد على الجهمية".

١٥- الإمام أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين -رحمه الله تعالى- (ت٣٩٩هـ)، ومؤلفه: "أصول السنة".

١٦- الإمام العالم الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي -رحمه الله تعالى- (ت٤١٨هـ)، وكتابه: "أصول اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم".

١٧- شيخ الإسلام الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني -رحمه الله تعالى- (ت٤٩٩هـ)، ومؤلفه: "عقيدة السلف أصحاب الحديث" أو "الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة".

١٨- الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن مُحمَّد بن الفضل التميمي الأصبهاني -رحمه الله تعالى- (ت٥٣٥هـ)، ومؤلفه: "الحجة في بيان المحجة" و"شرح عقيدة أهل السنة".

ومن سار على مسلك هؤلاء من علماء السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مؤلفاته القيمة الكثيرة، مثل: "منهاج السنة"، و"درء تعارض العقل والنقل" و"الاستقامة" و"الواسطية"، و"الحموية" و"التدمرية" و"بيان تلبيس الجهمية والرد على البكري"، وغير ذلك من رسائله الكثيرة المبثوثة في الفتاوى.

وكذلك تلامذته: كالإمام ابن قيم الجوزية في مؤلفاته الكثيرة، مثل: "الصواعق المرسلة" و"الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية" وقصيدته: "النونية".

ثم من سار على خط هؤلاء كشيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-، مجدد دعوة التوحيد، وتلامذته من علماء نجد، ومن تبع هذه الدعوة السلفية ودعا إليها من علماء العالم الإسلامي.

ولا يزال -والحمد لله- العلماء السلفيون يسلكون هذا المسلك، فينافحون عن السنة، ويردون على المبتدعة، كالشيخ العلامة إمام السلفيين: عبد العزيز بن باز، والمحدث الشيخ: مُحمَّد بن ناصر الدين الألباني، والشيخ: حمود التويجري -رحمه الله-

والشيخ: مُحمَّد بن صالح العثيمين، والشيخ: ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ: صالح الفوزان، وسائر السلفيين من علماء المغرب العربي، ومن علماء الهند، وعلماء الباكستان، ومن علماء أفغانستان، وغيرهم كثير من علماء البلاد الإسلامية.

فهم -والحمد لله- ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة.

ونختم هذا الفصل بأبيات لابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-، وذلك من قصيدته "النونية" الطويلة المسماة: "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" حيث يعاهد الله ﷻ على نصرة دينه، وجهاد أهل الأهواء والبدع، وفضح أمرهم على رؤوس الخلائق فيقول -رحمه الله-:

لأجاهدن عـــداك مـــا أبقيتني	ولأجعلن قتـــالهم ديــــداني
ولأفضحنهــم على روس المــلا	ولأفريــن أديمهم بلســـاني
ولأكشفن سرائـــرًا خفيت على	ضعفاء خلقك منهم ببيـــان
ولأتبعنهــم إلى حيث انتهـــوا	حتى يقال أبعـــد عبـــادان
ولأرجمنهم بأعـــلام الهــــدى	رجم المريد بثاقب الشهبـــان
ولأقعدن لهم مراصـــد كيـــدهم	ولأحضرنَّهم بكل مكـــــان
ولأجعلن لحومهم ودمـــاءهم	في يوم نصرك أعظم القربان
ولأحملن عليهـــم بعساكــــر	ليست تفر إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات والـــ	معقول والمنقول بالإحســـان
حتى يبين لمن له عقـــل من الــــ	أولى بحكم العقـــل والبرهان
ولأنصحـــن الله ثم رسولـــه	وكتابه وشرائـــع الإيمـــان
إن شاء ربي ذا يكون بحولـــه	إن لَم يشأ فالأمر للرحمن(١)

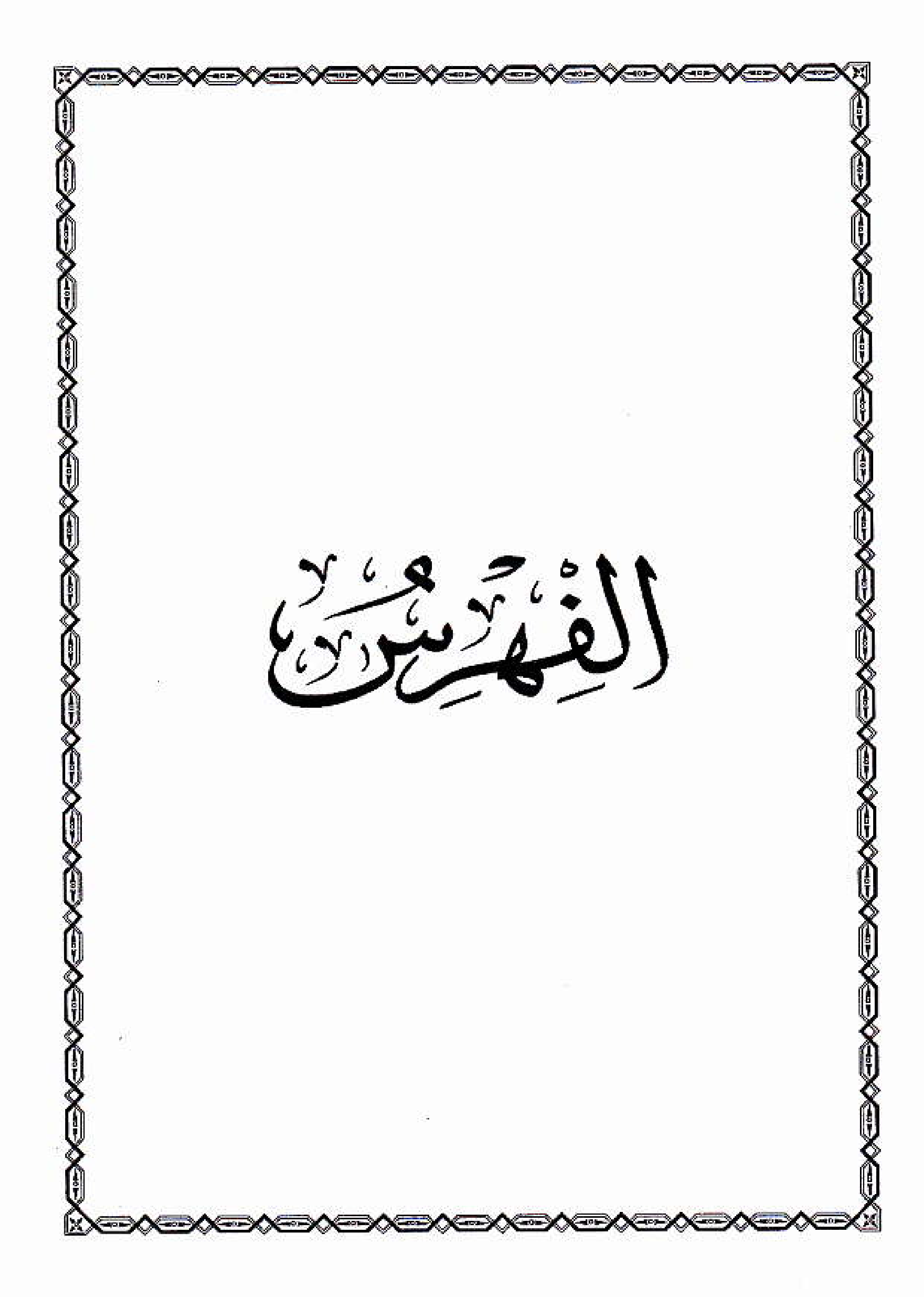
(١) "نونية ابن قيم الجوزية بشرح خليل هراس" (٤٢٩/١).

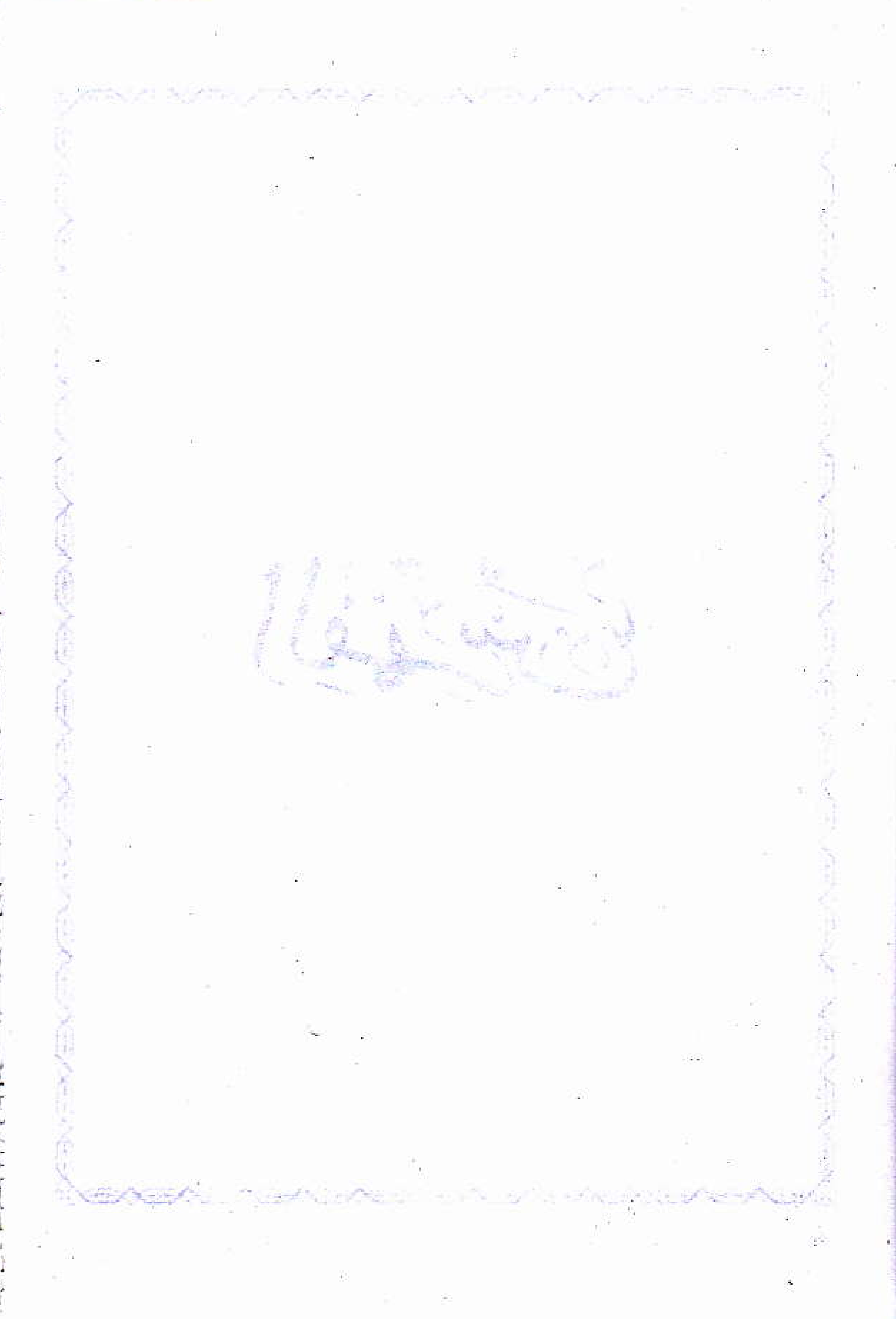
وهذا آخر ما تم جمعه من هذا الكتاب، الذي أسأل الله الحي القيوم أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله ذخرًا لي يومَ ألقاه، إن ربي لسميع الدعاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

عبد الله بن صلفيق القاسمي الظفيري


الفهرس



فهـرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

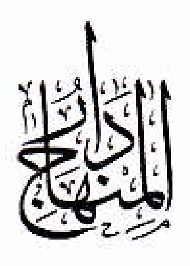
مكتب أضواء السلف
للصف التصويري والإعداد الفني
هاتف: ٢٠١ ٦٦ ٥٨/٠١٠

فتاوى النساء

تأليف

سماحة الشيخ العلامة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز





البدعة

ضوابطها وأثرها السيء في الأمة

[illegible] قال عمر بن عبد العزيز:

"إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة".

سيرة عمر بن عبد العزيز [illegible]

وجوب لزوم الجماعة

قال الله تعالى:

"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"

قال [illegible]: كتب رجل إلى ابن عمر، أن اكتب إلي بالعلم كله!
فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله:

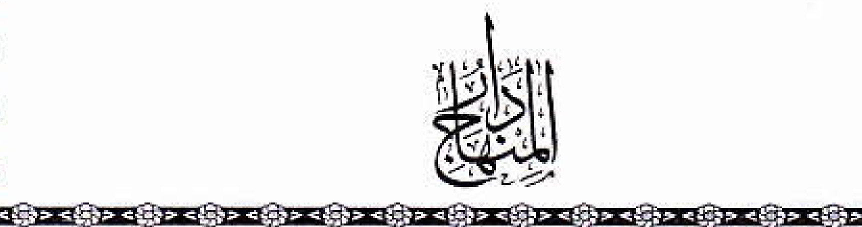
: خفيف الظهر من دماء الناس،
: خميص البطن من أموالهم،
: كاف اللسان عن أعراضهم،
: لازماً لأمر جماعتهم، فافعل.

سير أعلام النبلاء ٣/٢٢٢

بقلم

أ. د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية



الركائز العشر للتحصيل العلمي

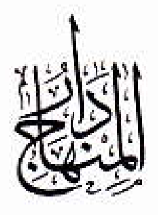
إعداد

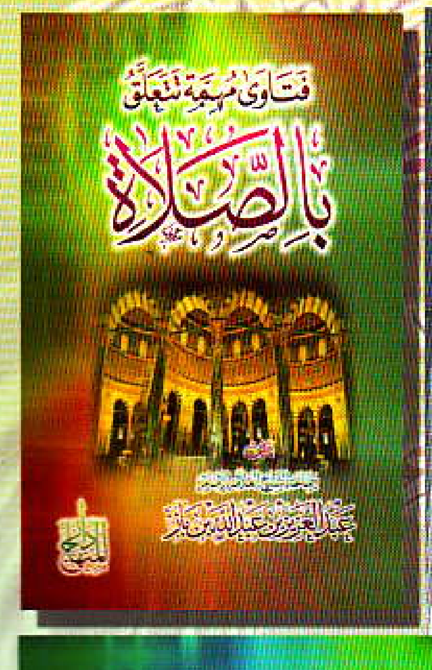
عبدالله بن صلفيق الظفيري

تقديم

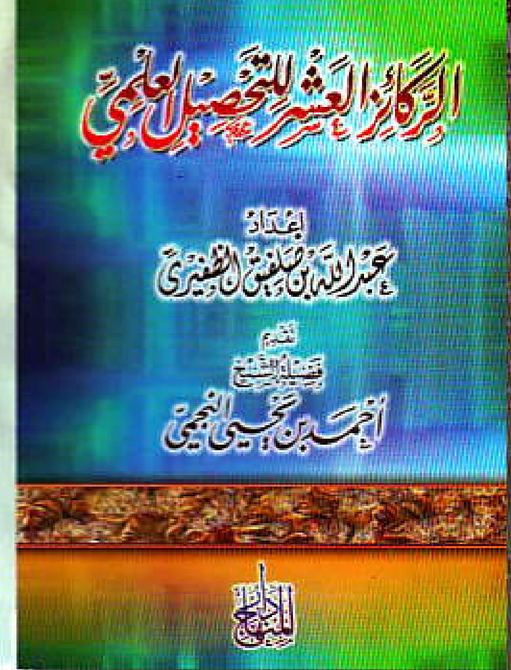
فضيلة الشيخ

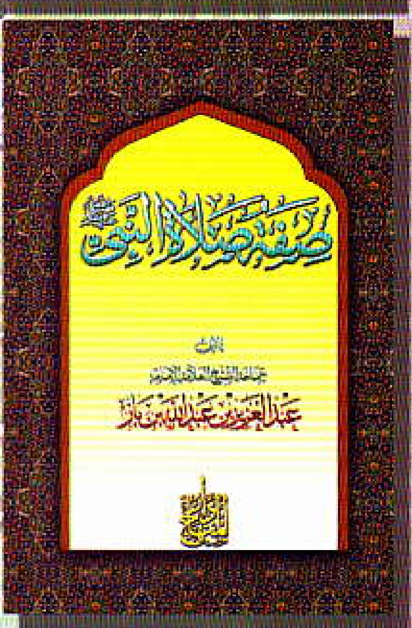
أحمد بن يحيى النجمي




فتاوى مهمة تتعلق
بالصلاة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز


كتاب التوحيد
محمد بن عبد الوهاب
القول السديد في مقاصد التوحيد
عبد الرحمن بن ناصر السعدي


الركائز العشر للتحصيل العلمي
إعداد
عبد الله بن صلفيق الظفيري
تقديم
فضيلة الشيخ
أحمد بن يحيى النجمي


صفة صلاة النبي ﷺ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

دار المنهاج